

من الاسكندرية الى بغداد

بحث فى تاريخ التعليم الفلسفى والطبى عند العرب(١)

للدكتور ماكس ماير هوف

عنى الباحثون فى اليونانيات والساميات منذ زمن بعيد بالكشف عن العصر الذى انتقلت فيه العلوم اليونانية إلى العرب . وهو عصر غامض وممتع معاً ثم إنهم قد قدروا الدور الخطير الذى لعبه السريان وكتبهم الآرامية المترجمة إبان هذه الحركة فمنذ حوالى خمسين سنة قام اشْتَينشْنَيْدَر فى دراساته العديدة ، ولوكلير فى كتابه الضخم عن تاريخ الطب عند العرب ، بجمع كل ما عرف فى هذا الباب فى ذلك الحين ومن بعد ذلك عرض بومشْتَرْك وأوليرى فى إيجاز انتقال الفلسفة ، وبراون انتقال الطب ، إلى العرب . وكتب كارا دى ڤو وجراف وفرلانى وآخرون غيرهم رسائل قيمة صغيرة عنيت أكثر ما عنيت بالكلام عن بداية الدراسات الفلسفية لدى العرب(٢) .

ومن المؤكد أن مدرسة الإسكندرية كانت لا تزال قائمة وقت أن فتح العرب مصر . فكانت تبعاً لهذا المدرسة اليونانية البحتة الوحيدة فى البلاد

---

(١) [ظهر هذا البحث فى سبتمبر سنة ١٩٣٠ فى «محاضر جلسات الأكاديمية البروسية للعلوم ، قسم الدراسات التاريخية الفلسفية » ، بالمجلد رقم ٢٣ . وهو فى الأصل :
M. Meyerhof, Von Alexandrien nach Baghdad, in, *Sitzungsberichte d. preuss. Ak. d. Wissensch.*, Phil.-hist. Klasse, 1930, XXXIII. p.p. 387-129.)

(٢) بعد كتابة هذا البحث وصلنى كتاب ياروسلاوس تكتش عن الترجمة العربية لكتاب الشعر لأرسطو *Die Arabische Uebersetzung der Poetik des Aristoteles* usw., Akad d. Wiss. in Wien, phil-hist. Kl. Kommission f. die Herausgabe der arab. Aristoteles-Uebersetzungen, Bd. I, Wien,1928)

وهذا الكتاب يشتمل فى مقدمته (من ص ٥٣ الى ١١٨) على تاريخ كامل للعلوم عند السريان وعند العرب المتقدمين ، يجمل كثيرا من أقوالى فى هذا البحث لالزوم لها ؛ بيد أن تكتش مع ذلك لم ينتبه الى طريق الإسكندرية المباشر الى بغداد



التي غزاها العرب فى دفعتهم الأولى . ومن المحتمل الظن أنها لا بد أن تكون قد قامت بدورها فى نقل العلوم إلى العرب . غير أن الدليل على طريق الانتقال المباشر قد أعوز الباحثين حتى اليوم ، أو بعبارة أصح لم يسوقوه فى وضوح وجلاء . ذلك لأن معرفتنا بحالة الحياة العقلية فى الإسكندرية فى القرن الخامس الميلادى ضئيلة تافهة على العموم ، وأوراق البردى التى عثر عليها فى عشرات السنين الأخيرة لم تأت بشيء فى هذا الصدد بعد أن أمل المرء من وراء استغلالها الشيء الكثير . فقد كشفت لنا ، بطريقة لم تكن منتظرة مطلقاً ، عن التاريخ السياسى والاقتصادى والقانونى لمصر فى العصر الهلينى المتأخر وأوائل الإسلام . لكن التاريخ العقلى لهذه الفترة ظل على غموضه المطبق الذى كان عليه من قبل . وكل ما هنالك بضع وثائق فى مجموعة «كتب الآباء الشرقيين» وما يشبهها ، تعطينا بعض إشارات إلى وجود أكاديميات ومدارس بالإسكندرية فى القرن السادس الميلادى ، وإلى الحياة الدراسية الثقافية هناك . لكن الخطوات التى قام بها الباحثون فى هذا السبيل لا تقاس فى مجموعها بالمعرفة الواسعة التى أودعها باحث مثل پرتاى(١) فى كتابه الذى منحته أكاديمية برلين جائزة ، منذ قرابة قرن من الزمان .

غير أن بعض المؤرخين والفلاسفة الأطباء فى العصر الإسلامى ، وخصوصاً من كتب منهم باللغة العربية ، يزيدوننا إيضاحاً فى هذا الباب . إلا أن أقوالهم يجب أن تؤخذ بحذر ، لأنها مفعمة بالأخطاء التاريخية والخلط بين المسائل ، إلى جانب التحريفات العديدة للأسماء اليونانية . وهى تحريفات النساخ القدماء مسئولون عنها . وهذه الكتب التى ألف أغلبها المسلمون فى أواخر القرن التاسع وفى القرن العاشر الميلادى تستقى من تراجم لكتب

---

(١) راجع كتاب ج بارتاى : المتحف السكندرى -G. Parthey, *Das Alexandrinische Museum.* Eine von der Kônigl. Akademie der Wiss. zu Berlin, in Juli 1838.' gekronte Preisschrift, Berlin 1838.



يونانية مثل كتب الأقوال التى قام بترجمتها فى العصر الإسلامى الأول مترجمون سريانيون إما مباشرة عن اليونانية ، أو بطريق غير مباشر بوساطة السريانية. ومن هؤلاء المترجمين من ألف كتباً فى تاريخ الحكماء لم يصلنا منها إلا كتاب واحد . ولكنها إذا حكمنا عليها تبعاً للمقتبسات الواردة فى المؤلفين العرب المتأخرين ليست إلا مجموعة أقوال أو عرضاً لحياة الأقدمين من الفلاسفة والأطباء والرياضيين فى صورة نوادر وأقاصيص .

وأول هؤلاء الكتاب المسلمين الذين استقوا كلامهم من مصادر غير مباشرة على هذا النحو ، أحمد بن يعقوب المسمى باليعقوبى (المتوفى بعد سنة ٢٧٩ هـ = ٨٩٢ م) المشهور بمؤلفه فى الجغرافيا. يحتوى تاريخ(٢) هذا المؤلف على مقتبسات عربية مأخوذة عن الكتاب اليونانيين وقد أصبحت اليوم فى متناول الجميل بفضل بحوث كلامروت وتراجمه(٣) . وعلى الرغم من أن اليعقوبى يعرف كثيراً من العلماء فى العصر البيزنطى فإن المرء يحاول عبثاً أن يجد عنده أخباراً عن مدرسة الإسكندرية . كذلك تاريخ ابن عبد الحكم (المتوفى سنة ٢٥٧ هـ = سنة ٨٧١م) وهو سابق على اليعقوبى وخاص بالكلام عن فتح العرب لمصر(٤) لا يحتوى أدنى إشارة إلى هذه

(١) راجع العرض الرائع لتاريخ الحكماء عند المؤلفين العرب فى كتاب بومشترك عن: « تراجم حياة أرسطو عند العرب والسريان » المطبوع فى ليبتسك سنة ١٨٩٦ ص ٥ — ١٢ خصوصاً التعليق رقم ١٠ Baumstark, *Syrisch-arabische Biographien des Aristoteles* والكتاب الذى أشرنا إليه عنوانه « نوادر الفلاسفة والعلماء » لحنين ابن اسحق وهو موجود برقم ٧٠٦ فى مكتبة الاسكوريال . لم يطبع بعد ، ولكن ليفنتال طبع النص العبرى وترجمه . وراجع أيضاً كارل مركله « كتاب آداب الفلاسفة » Karl Markle: *Die Sittensprüche der Philosophen*, Diss. *München 1921*.

(٢) طبع هوتسما ، بليدن سنة ١٨٨٣ ، خصوصاً الجزء الأول .

(٣) راجع مقالته عن « المقتبسات عن المؤلفين اليونانيين عند اليعقوبى » فى مجلة الجمعية الشرقية الألمانية ، المجلد رقم ٤١ ، من ص ٤١٥ إلى ص ٤٤٢ ZDMG.

(٤) « فتوح مصر » لابن عبد الحكم ، طبع ماسيه بالقاهرة سنة ١٩١٤ الكناشة الأولى (غير كاملة) . والطبعة الكاملة لهذا الكتاب قام بها تشارلز تورى سنة ١٩١٢ فى مطبعة جامعة ييل . وقد بحثت أيضاً ، ولكن بدون نتيجة ، فى كتب التاريخ السابقة .



المدرسة أو الأكاديمية ، ولا إلى حريق مكتبة الإسكندرية المزعوم . وهذا الكلام عينه ينطبق على «مروج الذهب» للمسعودى(١) (المتوفى سنة ٣٤٥هـ = سنة ٩٥٦م) وهو كتاب فى التاريخ والجغرافيا ، ظريف مشهور . لكن لهذا العالم كتاباً آخر فى الجغرافيا ، لا تزال له فائدته اليوم فى البحث عن تاريخ العلوم ، ويحتوى على اقتباسات قيمة سنتحدث عنها بعد حين . وإلى جانب هذا ، يوجد لدى غير هؤلاء المؤرخين العرب أخبار وروايات عن حياة العلماء وكتبهم ، يستطيع المرء أن يستخلص منها نتائج دالة على مصير مدرسة الإسكندرية النهائى . وثمت موضعان من هذه المواضع استخلصا منفصلين ، وترجما إلى اللغات الأوربية ، دون أن يلقيا حتى الآن ماهما جديران به من عناية ، ودون أن يربط كل منهما بالآخر . وعلينا فى بحثنا هذا أن نحاول القيام بهذا العمل الأخير .

لكن قبل البدء فى هذا يلزمنا أن نتأمل باختصار : الروايات ، الضئيلة وياللأسف ، التى وصلتنا عن مدرسة الإسكندرية قبل فتح العرب لمصر .

١ — مدرسة الإسكندرية فى عصرها المتأخر

لما عصفت يد البلى « بمتحف » الإسكندرية ، والمظنون أن ذلك كان فى القرن الثالث الميلادى ، وجدت أيضاً مدارس لها مكتباتها ، سمعنا عن إحداها وهى المعروفة بالقيصرية ، تلك التى نهبت سنة ٣٦٦ حين أحيل هذا المعبد إلى كنيسة . ومثل هذا حدث لمكتبة السيرابيوم ، فقد قضى عليها سنة ٣٩١ فى أيام ثيوذوسيوس الأول(٢) . حينئذ ارتحل معلمو الفلسفة عن المدينة لمدة

---

(١) « مروج الذهب » للمسعودى طبع باربييه دى مينار ، باريس سنة ١٨٦١ — سنة ١٩٢٨ ، خصوصاً الجزء الثانى والرابع والخامس .

(٢) راجع كرافتون ميلن : تاريخ مصر تحت حكم الرومان ، الطبعة الثالثة بلندن سنة ١٩٢٤ ص ٩٥ J. Crafton Milne, *A History of Egypt under Roman Rule*, third edition. London, 1924, p. 95. وراجع أيضاً كتاب بتلر عن « فتح العرب لمصر » خصوصاً من ص ٤٠١ إلى ص ٤٢٦ المطبوع بأكسفورد سنة =



من الزمان . ولم يعد يشعر الناس بوجود مكتبة فى العاصمة المصرية (الاسكندرية) . وفى هذا يقول برتشيا الذى ربما يعد اليوم أعلم الناس بتاريخها القديم . « من الصعب ، بل قد يكون من عدم الممكن ، أن نفترض وجود مكتبة كبيرة عامة حقاً فى الإسكندرية بعد نهاية القرن الرابع الميلادى »(١) . وأضيف إلى هذا أن من الصعب أيضاً أن نفترض وجود مدرسة فلسفية عامة فى ذلك العصر ، لأن التعصب الدينى منذ ذلك الحين قد اشتدت وطأته ، فجعل الحياة صعبة بالنسبة إلى المعلمين والطلاب الوثنيين . ومع هذا كله فقد استمرت المدارس والمكتبات الخاصة ، لأن أوراق البردى البيزنطية تتحدث عن Μουσεῖα (متاحف للدراسة) و Ἀκαδημίαι (أكاديميات) فى الإسكندرية(٢) وحوالى سنة ٥٠٠ م كان أمونيوس بن هرمياس تلميذ أبرقلس أحد الأفلاطونيين المحدثين ، مشهوراً جداً بوصفه رئيساً لإحدى المدارس وكان العرب يعرفون أسماء تلاميذه : سنبليقيوس ودمسقيوس واسقلبيوس وثيودوتوس والامفيدورس الأصغر ويحيى النحوى وهناك عرض موجز ، ولكنه حى ، لحياة الطلاب فى مدارس الإسكندرية

---

(١) Ev. Breccia, *Alexandrea ad Aygyptum*, Alexandrie 1 22. p. 49 ff.

وقد جمع جريفينى وفرلانى وثائق كثيرة حول مسألة حريق مكتبة الإسكندرية : الأول فى مقال كتب باللغة العربية (فى جريدة الأهرام عدد رقم ١٤٢٦٠ بالقاهرة فى ٢١ يناير سنة ١٩٢٤) ولخصه الثانى من بعد وأكمله بوثائق أخرى فى مجلة « ايجبتس » سنة ١٩٢٤ من ص ٢٠٥ الى ص ٢١٢ (بالايطالية) وعنوانه Sull' incendie della biblioteca di Alessandria ثم فى مقال آخر نشر بمجلة الجمعية الأثريه بالاسكندرية مجلد رقم ٢١ (سنة ١٩١٥) من ص ٥٦ الى ص ٧٧ وعنوانه « يوحنا النحوى وحريق مكتبة الاسكندرية » Giovanni il Filopono e l'incendio della biblioteca di Alessandria Bulletin de la Soc. Archéol. d'Alexandrie, No. 21 (1925) 77.

A. J. Butler, *The Arab Conquest of Egypt and the last Thirty years of Roman Dominion*, Oxford, 1902. ١٩٠٣ . وفى هذا الكتاب ذكر لمراجع عديدة .

(٢) راجع ماسبيرو : أوراق بردى يونانية من العصر البيزنطى ، ج ٨ (القاهرة سنة ١٩٢٥) رقم ٦٧٢٩٥ أسطر ١٣ الى ١٥ (حوالى سنة ٤٩١) . *papyrus grecs d' epove dyzantine.*



العليا ندين به لزكريا المدرسي(١) الذي درس هناك حوالى نهاية القرن الخامس هو وصديقه سويرس ، الذي أصبح فيما بعد بطريق أنطاكية . هناك كان يفد الشباب من الطبقات الراقية في الشرق القريب ليدرسوا الفلسفة والنحو والبيان والطب والرياضيات ، بينما كانوا يؤمون مدرسة بيروت المشهورة بالعلوم القانونية(٢) . وإنا لنعلم أن هذين الصديقين كانا ينتسبان إلى جماعة مسيحية هي جماعة محبي الاجتهاد (الفيلوبونيين) φιλόπονοι التي كانت تقوم بحماية أعضائها من الطلاب الوثنيين ، وتحارب المعلمين الوثنيين ، وتقوم في بعض الأحيان بالهجوم على المعابد الوثنية . لكي تحطم صور الآلهة الموجودة بها(٣). وفي النصف الأول من القرن السادس الميلادي كان يحيى النحوي أو يحيى فيلوبولونس — ولعل هذا اللقب الأخير آت من اسم الجماعة المشار إليها — الشخصية الكبيرة في مدرسة الإسكندرية ، ولسنا ندري هل كان رئيس مدرسة أم لم يكن . وجودمان نفسه ، وهو الذي ندين له بأحسن ما كتب عن تاريخ حياة هذا النحوي المشهور والشارح الأرسطالي وصاحب إحدى البدع ، لم يستطع أن يقطع في هذه المسألة برأي(٤) . أما في أوائل القرن السابع الميلادي فكان اصطفن الإسكندراني ، فيلسوف بلاط الامبراطور هرقل ، أشهر المعلمين في الإسكندرية . بيد أن شبح الخرافة يطوف حوله

---

(١) راجع «حياة سويرس لزكريا المدرسي» طبع كوجنر *Vie de Sévére,* par Zachairs le Scholastique. Ed. Kugener, *Patrologia Orientalis*, II, 1. (Paris 1907), p. 39.

(٢) راجع كتاب جان ماسبيرو عن «تاريخ أساقفة الإسكندرية» Jean Maspero, *Histoire des Patriarches d' Alexandrie*. (518—619), éd. Fotrtescue et G. Wiet. Partis 1923, p. 7, 19.

(٣) راجع «حياة سويرس» من ص ١٦ — ص ٣٥ .

(٤) في دائرة معارف بولي وفيسوفا وكرول من ص ١٧٦٤ — ص ١٧٩٥ المطبوعة في اشتوتجرت سنة ١٩١٦ ج ٩ س ٢ Pauly-Wissowa-Kroll ,*Real-Enzyklopädie*, IX, 2 (Stuttgart, 1916) S. 1764-95.

وحديثا استطاع فرلاني إلقاء الضوء على حياة يحيى النحوي في البحوث التي قام بها عنه وسأتحدث عن ذلك في موضع آخر .



أكثر مما يطوف حول يحيى النحوى . وشخصيته لم يتلقها المؤرخون العرب إلا فى صورة باهتة (١) .

ثم ان الأخبار التاريخية الخاصة بعصر ما قبل الإسلام لا تحدثنا عن مدرسة الإسكندرية فى عصرها المتأخر . بيد أن نشاطها الإيجابى يظهر فى تكوين تلاميذ مشهورين : فإلى جانب الفلاسفة المذكورين سابقاً تخرج فيها فى القرن السادس الميلادى الفيلسوف النصرانى يوحنا الأفامى ، والطبيب الفيلسوف سرجيوس الرأس عينى ، والطبيب ايتيوس Aetios الآمدى . وفى أوائل القرن السابع الميلادى كان هناك من الأطباء بولس الأجانيطى وأهرن ، وكان لكتب هؤلاء العلماء تأثير خطير فى دراسات العرب الأولى .

وهنا يورد المؤرخون من العرب طائفة من الروايات لا بد أن تؤخذ بحذر . ولوكلير ، أشهر مؤرخى الطب العربى ، قد كرس لهذا العصر قسما خاصا من كتابه (الجزء الأول من ص ٣٨ إلى ص ٦٠) فاعتمد أكثر ما اعتمد على « الفهرست » وكتابى ابن القفطى وابن أبى أصيبعة التى تورد فقرات واقتباسات من تواريخ الحكماء المذكورة سابقاً . غير أن لوكلير يثق كثيراً بهذه المصادر كما فعل فى حكاية حريق العرب لمكتبة الإسكندرية ، فقد حسبها حقيقة لا شك فيها مع أن الأخطاء التاريخية فى رواية ابن القفطى الطويلة (ص ٣٥٥) تثب أمام العين (٢) .

---

(١) أنظر التعليق رقم ١ ص ٤٧ وكتاب أوزنر عن اصطفن الاسكندرانى المطبوع فى بون سنة ١٨٧٩ Usener: *De Stephano Alexandrine*, Bonnae 1879.

(٢) راجع تعليق ١ ص ٤١ وكذلك الكتب لاتية : ل . كريل : - « حول أسطورة حريق العرب لمكتبة الاسكندرية » ، أعمال المؤتمر الدولى الرابع المستشرقين ، فيرنتسه سنة ١٨٨٠ ج ١

L Krehl, Ueber die Sage von der Verbrennung der alexandrinischen Bibliothek durch die Araber, *Atti del IV. Congresso Internaz degli Orientalisti* وكتاب لين بول St. Lane-Poole عن تاريخ مصر فى العصور الوسطى لندن سنة ١٩٠١ ص ١٢ ثم مقال ب كازانوفا عن « حريق العرب لمكتبة الاسكندرية » B. Casanova, L'incendie de la Bibliothèque d'Alexandrie par les Arabes *Acad. des inscrip. et Belles Lettres*. Paris 1923, p, 3 1-71 ثم كتاب براون E. G. Browne عن الطب العربى *Arab Medicine*, Cambridge 1921. p 81.

وأول رواية من هذا النوع مما لا يوجد إلا فى المصادر العربية ، ذلك الاقتباس الذى أخذه ابن أبى أصيبعة (جـ ٢ ص ١٣٥ س ٨ وما يليه) عن كتاب مفقود للفارابى الفيلسوف المشهور يدور حول « ظهور الفلسفة » . قال الفارابى بعد أن أورد أخباراً خيالية عن الأكاديمية القديمة ، وعن المكتبة بالإسكندرية ، وعن إنشاء أوغسطس لفرع الأكاديمية فى روما : « فصار التعليم فى موضعين . وجرى الأمر على ذلك ، إلى أن جاءت النصرانية وبطل التعليم من رومية ، وبقى بالإسكندرية . ثم نظر ملك النصرانية فى ذلك واجتمعت الأساقفة ، وتشاوروا فيما يترك من هذا التعليم وما يبطل ، فرأوا أن يعلم من كتب المنطق إلى آخر الأشكال الوجودية ، ولا يعلم ما بعده لأنهم رأوا أن فى ذلك ضرراً على النصرانية ، وأن فيما أطلقوا تعليمه ما يستعان به على نصرة دينهم . فبقى الظاهر من التعليم هذا المقدار ، وما ينظر فيه من الباقى مستور ، حتى كان الإسلام بعده بمدة طويلة »(١).

فكأننا هنا إذن بإزاء رواية مصدرها عربى عن تضييق دراسة كتب أرسطو المنطقية فى الإسكندرية النصرانية . لكننا لا نعرف من تاريخ الكنيسة أن قراراً كهذا قد أصدره أحد المجامع الدينية . غير أن رينان(٢) واشتينشنيدر (٣) ينبهان إلى أن التراجم السريانية للاورغانون كانت تقف دائماً عند الفصل السابع من التحليلات الأولى ، وأنها كانت عديدة مفصلة(٤) ثم إنه منذ ابتداء الحركة النسطورية (منتصف القرن الخامس) أى منذ پروبوس الأنطاكى لم يترجم إلا « التحليلات الأولى » ولم يشرح غيرها . وكذلك فعل اليعاقبة مثل جورجيوس « أسقف العرب » المشهور ، فإنه لا يتناول

---

(١) لم يترجم اشتينشنيدر (فى كتابه عن الفارابى ص ٨٦) هذا الموضع ترجمة صحيحة كل الصحة لأنه لم يكن لديه إلا مخطوط واحد .

(٢) راجع عنه « الفلسفة المشائية عند السريان » : ، باريس سنة ١٨٥٢ ص ٤٠
E. Renan, *De philosophia peripatetica apud Syros.*

(٣) راجع كتاب اشتينشنيدر ص ٨٦ تعليق رقم ٥ .

(٤) [راجع نشرتنا للترجمة العربية لكتب أرسطو المنطقية ، بعنوان : « منطق أرسطو » ، فى ٣ أجزاء ، وخصوصاً الجزء الأول . القاهرة سنة ١٩٤٨ — ص ٥٢ ، ٥٥] .

بالشرح والترجمة غير هذا الجزء (١). ولعله من المؤكد أن يكون مصدر رواية الفارابى المذكورة سابقاً معلمه يوحنا بن حيلان الذى امتنع أولا عن أن يقرأ مع تلميذه المسلم الطالعة الشغوف بالعلم كتاب «التحليلات الثانية» بيد أنه رضى من بعد ذلك (ابن أبى أصيبعة ج٢ ص ١٣٥ س٢٠ وما يليه) . ويظهر أيضاً أن معاصراً للفارابى هو محمد بن زكريا الرازى الطبيب المشهور لم يتلق إلا تعليما مقتصراً على هذا الجزء، كما يمكن استنتاج ذلك من عنوان إحدى الجمل (الملخصات) التى ألفها . وهذا العنوان هو كما ورد فى ابن أبى أصيبعة ج١ ص ٣١٥ س ٢٥ : «كتاب جمل معانى أنالوطيقا الأولى إلى تمام القياسات الحملية» . ونستطيع أن نضيف إلى هذا كله أيضاً أن سرجيوس الرأس عينى الطبيب الفيلسوف المترجم تكلم فى أحد كتبه عن مسألة «الشكل» (فى الأقيسة) المذكورة فى التحليلات الأولى (بومشترك ص ١٦٨) .

هذا إلى أن كثيراً من مؤرخى العرب يتفقون فى القول بأنه فى الإسكندرية فى العصر الهلينى المتأخر قد ألف مجموع كتب طبية وجوامع لستة عشر كتاباً من كتب جالينوس . ولا نعرف من المصادر اليونانية شيئاً عن هذه الجوامع، اللهم إلا اسمها (٢). والواقع أنها ليست ١٦ بل ٢٨ كتاباً : منها ٥ فى التشريح، و٦ فى التشخيص، و٤ فى النبض، ولكل واحد منها جامع . واسم هذه الجوامع كلها : «المتعلمين» τοῖς εἰσαγομένοις . وقد ترجمت مبكراً إلى السريانية والعربية فتوزعها حنين وتلاميذه وترجموها أول ما ترجموا . ويوجد

---

(١) راجع كتاب بومشترك ص ٢٥٧ وراجع أيضا ص ٥٥ من هذا البحث وكتاب بدمان عن «تحليلات أرسطو عند السريان» ، برلين سنة ١٨٩٨ ص ٩ إلى ص ١٥ .

(٢) عناوين هذه الستة عشر كتابا أوردها باليونانية ر . فون تپلى R. Von Toeply كتابه «دراسات فى تاريخ التشريح فى العصور الوسطى» ، ليبتسك وفينا سنة ١٨٩٨ ، ٢٣ وما يتلوها ، وبالعربية حنين بن اسحق فى رسالته عما ترجم من كتب جالينوس الى السريانية والعربية وهى التى طبعها برجشتريسر بمدينة ليبتسك سنة ١٩٢٥ .

منها عدد لابأس به من المخطوطات . ومنذ زمن قليل أرسل إلىّ ﻫ . رتر من القسطنطينية العنوان العربي لواحد من هذه المخطوطات (رقم ٣٥٨٨ بمكتبة أيا صوفيا) وهو : «جوامع كتب جالينوس التى يقرأها المتطببون الاسكندرانيون وهى ١٦ كتاباً » . وقد يكون من الخير أن نورد هنا حكم طبيب وفيلسوف فارسى كبير على قيمة هذه الجوامع الإسكندرانية ،كما ذكره ابن أبى أصيبعة (ج ١ ص ١٠٨ فى الوسط) بدقة :

« وقال أبو الفرج بن هندو(١) فى كتاب « مفتاح الطب »،إن هذه الكتب التى اتخذها الإسكندرانيون من كتب جالينوس ،وعملوا لها جوامع وزعموا أنها تغني عن متون كتب جالينوس ، وتكفى كافة مافيها من الجوامع(٢) والفصول . قال أبو الخير بن الخمار(٣) وهو أستاذ أبى الفرج بن هندو : أنا أظن أنهم قد قصروا فيما جمعوه من ذلك ، لأنهم يعوزهم الكلام فى الأغذية والأهوية والأدوية . قال : والترتيب أيضاً قصروا فيه، لأن جالينوس بدأ من التشريح ثم سار إلى القوى والأفعال ثم إلى الأسطقسات » .

ووجود هذه الجوامع وحـــدها دليل على أن حركة تدريس الطب بالإسكندرية لابد أن تكون قوية نشيطة قبل دخول العرب وغزوهم ؛ وسنتحدث فيما بعدعن هذه الحركة وكيف كانت ،معتمدين على ماتذكره لنا المصادر العربية . غير أنا ، وياللأسف ، لانستطيع أن نحددالزمن الذى فيه ألفت جوامع جالينوس هذه ، والتى كانت تسير معها جنبا إلى جنب جوامع لأبقراط فى اثنى عشر كتاباً . وقد رأى لكاير وتيبلى أن يحدداه بأول القرن السابع ، قبل غزو العرب لمصر بقليل . لكن ليس لدينا من الوثائق مايؤيد هذا .

ذلك أننا إذا رجعنا إلى المصادر العربية ،التى عنهااستقى هذان المؤلفان،

---

(١) راجع ما سنقوله عنه فيما بعد ص ٩٥ .

(٢) تقرأ هكذا بدلا من « توابع » (تصحيح برجشتريسر) .

(٣) راجع ماسنقوله عنه فيما بعد ص ٨٧ .

لم نجد فى أقدمها وهو « الفهرست » لابن النديم (القرن العاشر) ص ٢٩٢ س ١٧ ، إلا خبراً صغيراً يقول : « أسماء جماعة من الأطباء القدماء مقالين، ولا تعرف أوقاتهم على صحة: اصطفن (١) ،جاسيوس (٢)، انقيلاوس (٣)، مارينوس (٤) هؤلاء إسكندرانيون وهم ممن فسر كتب جالينوس وجمعها واختصرها وأوجز القول فيها ، وسيما كتب جالينوس الستة العشر ». وبعد ابن النديم بثلاثة قرون نرى أخباراً من جديد حول جوامع جالينوس ،وهى أخبار طويلة مما يجعلها أقرب إلى الشك ، ونرى أن أسماء الذين عملوا هذه الجوامع قد زاد عددها .

يقول ابن القفطى فى « كتاب أخبار الحكماء » (ص ٧١ س ٥وما يليه) « انقيلاوس الاسكندرانى: حكيم فاضل طبائعى ،مصرى الاقليم. اسكندرانى المنزل .وهو أحد الاسكندرانيين الذين عنوا بجمع كلام جالينوس واختصار كتبه ، وتأليفها على المسئلة والجواب . ودل حسن اختصارهم على معرفتهم بجوامع الكلام ، وإتقانهم لصناعة الطب (٥). وكان انقيلاوس هذا رئيسهم

---

(١) لعله اصطفن الاسكندرانى الفيلسوف المذكور آنفاً (ص٤٢) وهو مشهور خصوصاً عند العرب بأنه كيميائى وفيلسوف.ولكن كان يخلط بينه وبين معاصره اصطفن الأثينى المشهور بكونه من شراح بقراط وجالينوس . راجع كتاب نويبرجر ج ٢ ص ١٢١ وكتاب ليبمان عن « نشوء وانتشار الكيمياء » المطبوع ببرلين سنة ١٩١٩ ص ١٠٣ وما يليها . وكذلك كتاب روسكا عن « الكيميائيين العرب » ج ١ سنة ١٩٢٤ .

(٢) لعله العالم الطبيب جاسيوس من بترا، الذى عاش حوالى سنة ٥٠٠ . راجع شمت فى انسكلوبيدية پولى فيسوفا ج٧ص ١٣٢٤ W. Schmid, *Real-Enzykl.* Pauly-Wissowa, VII, 1324

(٣) هذا الاسم لم يوضح بعد،وهو يذكرنا بالساحر انكسيلاوس الذى عاش أيام أغسطس. ويمكن أيضاً أن يكون أصله نيكولاوس ،أو هيروكلس ، او أركيلاوس، أوما أشبه ذلك.

(٤) لايمكن طبعاً أن يكون هذا هو مارينوس الاسكندرانى المشرح الكبير سابق على جالينوس فى القرن الثانى.ولكن لعله أن يكون مارينوس فيلسوف من سيشيم (صفد) الذى خلف أبرقلس على رئاسة الأكاديمية (سنة ٤٦٥) . راجع پولى فيسوفا ج١٣ (سنة ١٩٢٩) ص ٢٤٠٢ .

(٥) قارن بهذا رأى ابن الخمار المخالف لهذا فى الصفحة السابقة . ولكن ابن =

وهو الذى جمع من منثور كلام جالينوس ثلاث عشرة مقالة فى أسرار الحركات ، ألفها فيمن جامع وبه علة مزمنة ، وذكر ما يولد عليه ذلك وما يدفع به ضرره (١) . وانقيلاوس هذا هو المرتب للكتب ، والمستخرج لأكثرها ، حتى إن أكثر الناس ينسبون الجوامع إليه . وقد ذكر هذا حنين ابن اسحق فى نقله لها من اليونانى إلى السريانى » . لكن هذه الترجمة ضاعت ويا للأسف وتراجمها العربية الأخرى لا تقول لنا شيئاً عن تأليف انقيلاوس لها كما هو مذكور هنا فى كلام ابن القفطى ، وواضح أن النساخ قد خلطوا هذه الأخبار خلطا .

ثم يقول ابن القفطى بعد ذلك (ص ٧١ س ١٥ ، وما يليه) : « والاسكندرانيون هم الذين رتبوا بالاسكندرية دار العلم ، ومجالس الدرس الطبى . وكانوا يقرأون كتب جالينوس ويرتبونها على هذا الشكل الذى تقرأ اليوم عليه ، وعملوا لها تفاسير وجوامع ، تختصر معانيها ويسهل على القارىء حفظها وحملها فى الأسفار . فأولهم على ما رتبه اسحق بن حنين اصطفن الإسكندرانى ، ثم جاسيوس ، وأنقيلاوس ، ومارينوس ، فهؤلاء الأربعة عمدة الأطباء الإسكندرانيين ، وهم الذين عملوا الجوامع والتفاسير . وانقيلاوس هو المرتب للكتب والمستخرج لها على ما تقدم شرحه » . ففى هاتين القطعتين إذا يتبع القفطى حنين وابنه اسحق ، اللذين كانا دائماً أعرف الناس بالدراسات العلمية قبل الإسلام . لكنه يعتمد بعد هذا على طبيب

= الخمار له اختصاص بهذا . أما ابن القفطى فلم يكن يفهم فى الطب كثيراً .

(١) هذا الموضع على هذه الصورة غير مفهوم ، ولعله من خطأ النساخ . فمن غير الممكن أن تكون ثلاثة عشر كتابا من كتب جالينوس عن الموضوع المذكور ، كذلك العنوان : « أسرار الحركات » غير موجود فى مكان آخر . وهناك كتابان ينحلان لجالينوس عن أسرار النساء والرجال (راجع ما قلته فى Sitz. Ber. d. Pr. Ak. d. W. Ph.-H. Kl XXVIII. (1938) s. 543 -) ويوجد منهما نسخة خطية فى ترجمة عربية باستامبول (أياصوفيا رقم ٤٨٣٨ ، وقد تفضل برجشتريسر الذى قرأها فذكر لى محتواها ، وهو يخالف ما يتحدث عنه ابن القفطى) .

لم يستق إلا من مصادر ثانوية أو فى المرتبـــة الثالثة ، ولا يعرف اليونانية فى الغالب .

وفى ترجمة يحيى النحوى يقول ابن القفطى (ص ٣٥٦ س ١٤ وما يليه) : « وذكر عبيد الله بن جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع الطبيب[١] أن اسم يحيى ثامسطيوس . قال : وكان قوياً فى علم النحو والمنطق والفلسفة ، ولايلحق بهؤلاء الأطباء ، يعنى الإسكندرانيين المشهورين ، وهم أنقيلاوس واصطفن وجاسيوس ومارينوس ، وهم الذين رتبوا الكتب » وعندى أن عبيد الله على صواب فى قوله إن يحيى النحوى لم يشترك فى عمل جوامع جالينوس ولكن لأنه يعده ثامسطيوس ، فإن حكمه لا قيمة له . وهذه الفقرة التى أمامنا نموذج للخلط الشنيع الذى كانت عليه أخبار علماء الإسكندرية عند الكتاب العرب المتأخرين . ويزيد هذا الخلط ما يورده ابن أبى أصيبعة الذى استقى نفس هذا الكلام من كتاب لأحد معاصرى عبيد الله . يقول ابن أبى أصيبعة (ج ١ ص ١٠٣ س ٧ من أسفل) : « قال المختار بن الحسن بن بطلان[٢] : « إن الإسكندرانيين الذين جمعوا كتب جالينوس الستة عشر وفسروها كانوا سبعة وهم اصطفن ، وجاسيوس ، وثاودوسيوس[٣] ، وأكيلاوس[٤] ،

---

(١) هذا الطبيب الفيلسوف آخر رجل معروف من أسرة بختيشوع المشهورة بالطب التى سنتحدث عنها ص ٥٦ . وقد جمع عدة مقتبسات من الأطباء القدماء فى كتاب تحت عنوان « نوادر المسائل » حوالى سنة ٤٤٥ هـ = سنة ١٠٥٣ م (راجع ابن أبى أصيبعة ج ١ ص ١٣٨ س ١٧) وكتب أيضا كتابا عنوانه « مناقب الأطباء » (ابن أبى أصيبعة ج ١ ص ١٠٤ س ١٣) . ولكن هذين الكتابين مفقودان . وحديثاً نشر له كتاب عنوانه « الروضة الطبية » ، نشره الأب بول سباط بالقاهرة سنة ١٩٢٧ . وفى هذا الكتاب ص ٣٥ نجد المؤلف يرتكب نفس الخلط بين يحيى النحوى وثامسطيوس . راجع مقالة مايرهوف عن : « ملخص عربى للتعريفات الطبية الفلسفية » المنشور بمجلة ايزيس **Isis** (بروج ١٩٢٨) ج ١٠ ص ٣٤٥ تعليق .

(٢) فيما يختص به راجع ما سنقوله عنه فيما بعد ، ص٩٤—ص٩٥

(٣) يمكن أن يكون المقصود ثاودوسيوس الإسكندرانى النحوى إذ لا يعرف طبيب بهذا الاسم فى العصر الإسكندرانى المتأخر .

(٤) لعله انقيلاوس نفسه .

وانقيلاوس ، وفلاذيوس[١] ، ويحيى النحوى . وكانوا على مذهب المسيح . وقيل إن انقيلاوس الإسكندرانى كان هو المقدم على سائر الإسكندرانيين ، وأنه هو الذى رتب الكتب الستة عشر لجالينوس » .

وبعد ذلك يذكر ابن أبى أصيبعة ما ذكره ابن القفطى عن شروح الكتب ، ومن رأى حنين فى حركة الدرس بالإسكندرية مما سنذكره بعد (ص ٥٢) ويختم كلامه بقوله (ج ١ ص ١٠٤ س ١) : « وأجود ما وجدت من ذلك تفسير جاسيوس للستة عشر . فإنه أبان فيه عن فضل ودراية . وعمر من هؤلاء الإسكندرانيين يحيى النحوى الإسكندرانى الاسكلائى[٢] حتى لحق أوائل الإسلام . وإنا لنعرف اليوم أن هذا العالم الهلينى المولود بمدينة قيسارية قد مات قبل الغزو العربى بحوالى قرن . ولكن العرب أصروا على ربطه بعمرو بن العاص ، فاتح مصر على الرغم من أنه كان معروفاً لديهم أنه تلميذ أمونيوس ، وأن أمونيوس كان تلميذ أبرقلس[٣] . ثم يورد ابن أبى أصيبعة

---

(١) عالم طبيب مشهور من المحتمل أن يكون قد عاش فى القرن الخامس . وتعرف له شروح على كتب جالينوس وبقراط . راجع : نويبرجر ج ١١ ص ٧٥ .

(٢) فى الأصل « الاسكلانى » وهى كلمة غير مفهومة فأبدلت بها ، تبعاً لما اقترحه الأستاذ يوسف شاخت ، كلمة « الاسكلائى » أى المدرسى أو المدرس . [نظن نحن أن معناها « الشارح » مأخوذة من الكلمة σχολή أى شرح أو من σχόλιον] .

(٣) هكذا عند مؤلف مثل أبى سليمان محمد بن طاهر السجستانى الفيلسوف الفارسى (أورده ابن أبى أصيبعة ج ١ ص ١٠٤ س ٩ وما يليه) . وظهير الدين البيهقى الذى جمع كتبه (مخطوطة ليدن رقم ١٣٣ من المخطوطات العربية وقد رآها لى الدكتور فان آرندونك A. Van Arendonk) يجعله يعيش حتى النصف الثانى من القرن السابع ويجعل مولده فى بلاد الديلم فى فارس . ولكنه يترجم لقبه « فيلوپون » ترجمة صحيحة فيقول : « محب الاجتهاد » . راجع أيضاً اشتينشنيدر كتاب « الفارابى » ص ١٥٢ إلى ص ١٧٦ (« يحيى النحوى عند العرب ») . ولعل هذا الخلط التاريخى كله نشأ عن خطأ أحد المترجمين أو النساخ . فالفهرست (ص ٢٥٥ س ٣) ومن بعده ابن القفطى (ص ٣٥٦ س ١٢) يقولان إن يحيى النحوى ذكر فى المقالة الرابعة من تفسيره لكتاب السماع الطبيعى عند الكلام فى الزمان أن سنة تأليفه هذا الشرح كانت سنة ٣٤٣ لدقلطيانوس القبطى أى ما يعادل سنة ٦٢٧ م . والواقع أن هذا الكلام ورد فى الكتاب السادس عشر من شرح يحيى النحوى للسماع الطبيعى . لكن السنة الوارد ذكرها هى سنة ٢٤٥ لدقلطيانوس أى ما يعادل سنة ٥٢٩ ميلادية !

(ج ١ ص ١٠٤ س ١٣ وما يليه) اعتماداً على عبيد الله القصة اللطيفة التى تقول بأن يحيى النحوى كان « ملاحا يعبر الناس فى سفينته . وكان يحب العلم كثيراً . فإذا عبر معه قوم من دار العلم والمدرِّس الذى كان يدرس العلم بجزيرة الإسكندرية يتحاورون ما مضى لهم من النظر ويتفاوضونه ، ويسمعه فنهش نفسه للعلم . فلما قويت رَوْبَتُه[1] فى العلم فكر فى أمره . . . فبينما هو مفكر إذ رأى نملة قد حملت نواة تمرة ، وهى تريد أن تصعد بها إلى علو ، وكلما صعدت بها سقطت ، فلم تزل نهارها وهو ينظر إليها ، إلى أن بلغت غرضها ، وأطلعتها إلى غايتها . فلما رآها يحيى النحوى قال لنفسه : إذا كان هذا الحيوان الضعيف قد بلغ غرضه بالمجاهدة ، فأنا أولى أن أبلغ غرضى بالمجاهدة . فخرج من وقته ، وباع سفينته ، ولازم دار العلم » . وهذا الخلط الذى وقع فيه العرب حول اسم يحيى النحوى ومؤلفاته لا يزال أثره باقيا حتى اليوم . فإن كتباً حديثة جداً تزعم أن يحيى الإسكندرانى قد كتب الشروح التى بعضها طب وبعضها فلسفة .

وواضح أن حنين وابنه إسحق لم يعرفا الشىء الكثير عما كان فى الإسكندرية قبل ذلك بقرنين أو بثلاثة قرون . ومن هنا كانت الروايات المتناقضة عن أسماء علماء ينتسبون إلى القرون الخامس والسادس والسابع . ولكن يبدو مؤكداً من الأخبار التى أوردها المؤلفون العرب ، بعد تمحيصها ، أنه كانت هناك قبل دخول الإسلام مدرسة أو أكثر بالإسكندرية ، فيها كانت الفلسفة والطب يدرسان بصورة مدرسية واضحة . وهذا يبدو خصوصاً من كلام لحنين ابن إسحق لازال عندنا نصه الأصلى بفضل برجشتريسر[2] . وهذا الكلام كان من البواعث التى دفعتنى إلى هذا البحث . قال حنين بعد أن أورد أهم كتب جالينوس العشرين :

---

(١) الروبة : الحاجة .

(٢) راجع كتاب برجشتريسر ص ١٥ من الترجمة .

« فهذه الكتب التى كان يُقْتَصَرُ على قراءتها فى موضع تعليم الطب بالإسكندرية . وكانوا يقرؤنها على هذا الترتيب الذى أجريت ذكرها عليه ؛ وكانوا يجتمعون فى كل يوم على قراءة إمام منها وتفهمه ، كما يجتمع أصحابنا اليوم من النصارى فى مواضع التعليم التى تعرف بالاسكول[١] فى كل يوم على كتاب إمام ، إمّا من كتب المتقدمين وإما من سائر الكتب . وإنما كانوا يُقْرِئونها الأفرادَ كلٌّ واحد على حِدَته بعد الارتياض بتلك الكتب التى ذكرت ، كما يقرأ أصحابنا اليوم كتب المتقدمين » .

وعلى هذا النحو بقيت الدراسة فى الشرق والغرب طوال العصور الوسطى ، بل لا تزال باقية حتى اليوم فى الشرق الإسلامى . ويكفى أن يدخل المرء مسجداً من هذه المساجد التى تعقد فيها حلقات الدرس ليرى أمامه الدراسة على هذه الصورة الموجودة بالإسكندرية : يقرأ التلميذ أمام أستاذه قطعة من كتاب رئيسى ، وحينئذ يقوم الأستاذ بالشرح وإلقاء الأسئلة . وكان فى وسعنا أن نعرف من غير كلام حنين السابق أن هذا النوع من الدراسة كان موجوداً ، وذلك عن طريق التراجم السريانية والعربية لجوامع كتب بقراط وجالينوس وكتب أرسطو المنطقية وشروحها مما كان يُعْمَل للتلاميذ . أما فيما يتعلق بتاريخ تأليف هذه الكتب فعندى أنه لا يجب وضعه ، كما فعل اكلبر ، فى العصر القريب من الفتح العربى لمصر ، وإنما فى النصف الأول من القرن السادس على أقل تقدير . لأنه حوالى هذا العصر ألف يحيى النحوى شروحه الأرسططالية من جهة ، ومن جهة أخرى كان له تأثير عظيم فى العالم المسيحى الذى يتكلم اليونانية والسريانية ، بفضل استخدامه لمنطق أرسطو فى الدفاع عن الدين المسيحى وتأييده . وحوالى هذا العصر نفسه انتهى سرجيوس الرأس عينى من تراجمه السريانية لأشهر كتب جالينوس التى كان لها خطرها وأهميتها فى

---

(١) راجع فى ص ٥٤ س ١ ، تفسير هذه الكلمة التى تقابل فى اليونانية لفظ σχολή (مدرسة).

تطور الطب اليونانى فى الشرق الأدنى . وإلى جانب ذلك ترجم كتباً لأرسطو أو منحولة إليه وشرحها . وعلى هذا يبدو لى أنه ليس من الممكن افتراض أن الحركة الدراسية فى الإسكندرية قد وقفت لمدة طويلة ثم عادت من بعد فى القرن السابع . وإنما الأحرى أن يقال إن هذا النشاط الذى وجد فى القرن السابع كان استمراراً لحركة العصر السكندرى الذهبى ، ولو أنه صبغ بصبغة المدرسية شيئاً فشيئاً ، وظلت تقاومه المنازعات الدينية . ولابد أنه كان مع المدارس مكاتب متصلة بها . ومع ذلك فإن برتشيا على حق حين يقول إنها لم تكن كبيرة ولا عامة (راجع التعليق رقم ١ ص ٤١) .

(ب) العلوم اليونانية عند السريان فى الشرق الأدنى

ومعرفتنا بنفوذ المعارف اليونانية إلى الشرق الأدنى فى عصر ما قبل الإسلام أحسن من معرفتنا بالعصر الإسكندرانى المتأخر . فكانت الأماكن التى ازدهرت فيها العلوم اليونانية فى المنطقة التى تتكلم السريانية والفارسية الوسطى هى الرها ، ونصيبين ، والمدائن وجنديسابور فى خوزستان بالنسبة إلى النساطرة ، ثم أنطاكية وآمد (ديار بكر) بالنسبة إلى اليعاقبة . وإلى جانب هذا كانت هناك مدارس فى الأديرة نعرف الشىء الكثير عن نظمها وطرق الدرس فيها بفضل بحوث السمعانى وغيره من المؤلفين[1] ، واسمها بالسريانية اسكول المأخوذة من اللفظ اليونانى σχολή ، ومنه صنع العرب

---

(١) راجع كتاب السمعانى ج ٣ من ص ٩٣٤ -- إلى ص ٩٤٧ ثم كتاب روبانس دوفال عن الأدب السريانى من ص ٢٤٩ إلى ص ٢٧٨ . ومقالة رسكا : « دراسات حول كتاب المحاورات تأليف سويرس برشكو » فى مجلة الأشوريات ج ١٢ ص ١١ وما بعدها ثم مار برحدبشبه فى مقاليه عن « سبب إنشاء المدارس » فى مجوعة « كتب الآباء الشرقيين » ج ٤ ص ٤ من ٣١٩ إلى ص ٤٠٤ . وراجع أيضا بومشترك ص ١١٤ وتكاتش الخ .

R. Duval, *La littérature syriaque*, **Paris 1899; J Ruska, Studien zu Severus bar šakku's "Buch der Dialoge", Zeitschrift für Assyr. II. Mar Barhadbsabbà Cause de la fondation des écoles, éd A. Scher. In** ***Patrologia Orientalis.***

للفظ « اسكول » الذى يدل على مدرسة مسيحية أو مدرسة ملحقة بدير . وكانت الغالبية العظمى من هذه المدارس لاهوتية دينية . لكن كان يسمح فى الكثير منها بدراسة العلوم الدنيوية وهى النحو والبيان والفلسفة والطب والموسيقى والرياضيات والفلك ؛ وكما قلنا من قبل اقتصر التعليم الفلسفى فى جوهره على بعض أجزاء المنطق الأرسططالى ، والتعليم الطبى على أمهات مؤلفات بقراط وجالينوس . ويظهر أن أهم موضع عنى فيه بالعلوم اليونانية فى مدارس أديرة كان مدرسة دير القديس افثنيوس فى قِنَّسْرين بسوريا ، إلا أن ازدهارها كان فى العصر الإسلامى .

وكان علماء هذا العصر فى نفس الوقت غالباً من رجال الدين ، مثل الطبيبين الإسكندرانيين اللذين ذكرناهما وهما سرجيوس وأهرن . وإذا قرأنا كتاب بَومْشْتَرْك عن تاريخ « الأدب السريانى » وجدنا أنه لم يكن فى الشرق الأدنى فى العصر السابق على الإسلام علماء أطباء مشهورون ، وإنما كان الغالب أن يأتى علم الطب آنئذ من الإسكندرية ، وفى مقابل هذا نعرف أنه كان ثمت فلاسفة عديدون ، كانوا فى نفس الوقت مترجمين فى أغلب الأحيان عنوا بترجمة المنطق الأرسططالى وشروحه إلى السريانية .

فمن بين رجال العصر السابق على الإسلام يذكر لنا بومشترك : هيبا ، الملقب بالترجمان من القرن الخامس ، وتلميذه بروبا (پروبوس) وكانا من أتباع المدرســـة الفارسية فى الرها ؛ ومن القرن السادس يذكر لنا اسم أبى القشقرى الذى كان ذا نفوذ عظيم فى كسرى الثانى (من سنة ٥٩٠ إلى سنة ٦٢٨) أحد ملوك الساسانيين ؛ وهؤلاء الثلاثة جميعاً نسطوريون . أما اليعاقبة فنذكر من بينهم ، ممن عاشوا فى القرن السادس ، يونان الأفامى وسرجيوس الرأس عينى وكانا تلميذين بالإسكندرية كما ذكرنا ، ثم اصطفن برصديله وأخو دميه ؛ وإلى جانب هؤلاء المترجم السريانى لأثولوجيا أرسطاليس(١) .

(١) راجع فى هذا ملاحظات نلينو فى « الشرق الحديث » المجلد رقم ١٠ (١٩٣٠) ص ٥٠ من أعلا . Oriente Moderno .

ويورد بوْمِشْتَرك من العصر الأول للإسلام فى القرن السابع الميلادى من بين النساطرة أسماء سلوانوس القردى ، وحينانيشو الأول الجاثليق ، ثم شمعون الراهب المعروف بطيبويه الطبيب ، والأخير قد ترك كتاباً فى الطب كان له بعد ترجمته إلى العربية بعض الأثر فى تطور الطب الإسلامى . ومن بين اليعاقبة فى هذا القرن نذكر سويرس سيبوخت (المتوفى سنة ٦٦٧) وتلميذيه اثناسيوس البلدى[١] وأيوب الرهاوى (المتوفى سنة ٧٠٨) الذى يعده بَوْمِشْتَرْك (ص ٢٤٨) « أكبر رجال الحركة اليونانية المسيحية فى اللغة الآرامية » ، لكن لم يصلنا من كتبه وتراجمه فى العلوم الدنيوية شىء[٢] ؛ ثم جورجيوس (المتوفى سنة ٧٢٤ م) أسقف العرب المسيحيين فى المنطقة المسماة اليوم حوران (فى سوريا) ، وكان تلميذ هذين الأخيرين ، وقد اشتهر شارحاً ومترجماً لمنطق أرسطو .

ولنذكر من رجال القرن الثامن الأساقفة النسطوريين مارأبا ويوشع بخت ودنحا[٣] الذين كانوا مترجمين وشراحاً لكتب أرسطو . ثم طيماثاوس الأول الجاثليق (المتوفى سنة ٨٢٣) ، وفى أيامه نشطت حركة الإرساليات النسطورية فى آسيا الوسطى حتى بلاد الصين ؛ وكان ذا مقام كبير لدى الخلفاء العباسيين ، وقد عنى بالدراسات الفلسفية عناية كبيرة .

وفى النصف الثانى من القرن الثامن كان لمدرسة جُنْدَيْسابور ، التى

---

(١) راجع جوزيه فرلانى ، « مقدمة أثناسيوس البلدى للمنطق الأرسطالى » ,O. Furlani Sull' introduzione di Atanasio di Beladh alla logica e sillogistica airstotelica, فى Rendiconti della R. Accademia dei Lincei T XXV, 717 - 78 والترجمة فى *Atti del Reale Istituto* Veneto di Scienze, Lettere ed arti T. LXXXV (1927) pp. 319 - 43.

(٢) يميز بينه وبين الفيلسوف المسيحى المتأخر عنه واسمه أبو زكريا دنحا الذى جرت له مناظرات مع المسعودى ببغداد سنة ٣١٢ = سنة ٩٢٥ فى بغداد وتكريت (راجع « التنبيه والإشراف » ص ١٥٥ س ٥ وما يليه) .

(٣) [نشر له أخيراً منجانا كتاب « الذخائر » وهو دائرة معارف بالسريانية فى العلوم الطبيعية ، وترجمه إلى الإنجليزية وظهر فى كمبرج سنة ١٩٣٥ .
A. Mingana : Encyclopedia of natural and philosophical sciences. as taught in Bagdad about A. D. 817 or Book of Treasures.]

ذكرناها آنفاً على أنها مدرسة فارسية طبية ، أهمية كبرى . وكان عصر ازدهارها الأول فى القرن الخامس فى أيام الملك خسرو أنوشروان بفضل العلماء النساطرة الذين طردوا من الرها آنذاك . وفى هذه المدرسة لم يكن الطب يدرس — اعتماداً على تراجم سرجيوس لكتب جالينوس فى غالب الظن — نظرياً فحسب ، بل كان يدرس عملياً فى بيمارستان كبير ، كان نموذجاً لما كانت عليه الدراسة من بعد فى العالم الإسلامى . وفيها أيضاً اتصل العلماء اليونانيون والسريان والفُرْس بعلماء الهند وتأثر بعضهم بعضاً ، وفى الطب العربى الإسلامى بقايا لهذا التأثر . وفى العصر الأموى لم يكن لمدرسة جنديسابور أى أثر فى قيـــام مدرسة طبية ، ولو أن بعض الأطباء أتوا من هناك إلى جزيرة العرب وسوريا . وإنما بدأت العناية تتجه إلى هذه المدرسة فى أوائل حكم العباسيين الذين نقلوا عاصمة الملك إلى بغداد . فإن الخليفة الثانى المنصور قد استشار فى سنة ١٤٨ هـ = ٨٦٥ م رئيس أطباء بيمارستان جنديسابور وهو جَوَرْجيس بن بختيشوع (تبعاً للقفطى) حينما دعاه إلى بغداد . ومن ذلك الحين بقيت أسرة بختيشوع طوال ثلاثة قرون ذات مكانة كبرى عند الخلفاء . فمنها كان أطباء الخلفاء ووزراؤهم ؛ وكان منها الأطباء المحترفون وأطباء البيمارستانات ومعلموالطب والفلسفة . وآخر أبناء هذه الأسرة المعروفين عبيد الله المذكور آنفاً (ص ٤٩) ثم آخر ليس معروفاً تماماً هو على بن إبراهيم بن بختيشوع (١) . وقد عاش فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى (القرن الحادى عشر الميلادى) .

ومن بين الأطباء الآخرين فى جنديسابور والذين وصلت إلينا أسماؤهم نذكر هنا أشهرهم فحسب ، ألا وهو يوحنا بن ماسويه الذى هاجر إلى بغداد فى أول القرن الثالث (= القرن التاسع الميلادى) وهناك أقام بيمارستانا

---

(١) راجع مقال ماكس مايرهوف عن « كتاب فى طب العيون غير معروف من القرن الحادى عشر بعد الميلاد » فى Archiv f. Gesch. d. Medizin, Bd. XX (1928) 63-79 (محفوظات تاريخ الطب جـ ٢٠ [سنة ١٩٢٨] من ص ٦٣ إلى ص ٧٩) .

وجعله الخليفة المأمون فى سنة ٢١٥ هـ (= ٨٣٠ م) رئيساً لبيت الحكمة ، وقد تتلمذ عليه حنين لمدة من الزمان . وتوفى فى بغداد سنة ٢٤٣ هـ (= ٨٥٧ م) .

ومن هذا الزمن تقريباً بدأت مدرسة الطب فى جنديسابور تفقد أهميتها لأن كبار الأطباء والأساتذة قد ذهبوا إلى قصور الخلفاء فى بغداد أو سُرَّ من رأى . وكانت شهرة الأطباء السريان النصارى فى عاصمة إمبراطورية الخلفاء كبيرة جدا . والدليل البين على هذا وجده براون (من ص ٧ إلى ص ٨) فى كتاب من كتب النقد اللاذع التى ألفها الجاحظ المتكلم المعتزلى المشهور (المتوفى سنة ٢٥٥ = ٨٦٩ م) . قال الجاحظ فى كتابه « البخلاء »[1] عن أسد بن جانى الطبيب البغدادى :

« وكان أسد بن جانى) طبيباً ، فأكسد مرة . فقال له قائل : السنة وبئة ، والأمراض فاشية ، وأنت عالم ، ولك صبر وخدمة ، ولك بيان ومعرفة ، فمن أين توتى فى هذا الكساد ؟ قال : أما (واحدة) فإنى عندهم مسلم . وقد اعتقد القوم قبل أن أتطبب ، لا بل قبل أن أخلق ، أن المسلمين لايفلحون فى الطب . واسمى (ثانية) أسد ، وكان ينبغى أن يكون اسمى صليبا ، ومرايل ، ويوحنا ، وبيرا ، وكنيتى أبو الحارث ، وكان ينبغى أن تكون أبو عيسى ، وأبو زكريا ، وأبو إبراهيم . وعلىَّ رداء قطن أبيض ، وكان ينبغى أن يكون رداء حرير أسود . و (أخيراً) لفظى لفظ عربى ، وكان ينبغى أن تكون لغتى لغة أهل جنديسابور » . وهكذا يقول الطبيب العربى بصراحة إنه لن يكون له زبائن إلا إذا كان مسيحيا ذا اسم سريانى ولهجة سريانية ، ويلبس رداء من الحرير ، وهو محرم على المسلم . ويدرس فى المدرسة السريانية الفارسية المشهورة . وقد كان الأطباء المسلمون آنئذ فى بداية عصر دراستهم .

وكان القرن الثالث (التاسع الميلادى) عصر المترجمين حقاً . وكان

---

(١) كتاب البخلاء » طبع فان فلوتن بمدينة ليدن سنة ١٩٠٠ ص ١٠٩ وما يليها ؛ طبعة القاهرة سنة ١٣٢٣ ص ٨٥ .

هؤلاء جميعاً من النصارى الذين يتكلمون باللغة السريانية . وكان منهم أيضاً من لابد أن يكون قد أتقن اليونانية والفارسية . وبعد أن ترجم عدد كبير من الكتب الطبية اليونانية إلى السريانية منذ أيام سرجيوس (القرن السادس) وخصوصاً فى القرن الثانى للهجرة (= القرن الثامن الميلادى) ، نزل حنين ابن إسحق سنة ٢١١ ﻫ (= ٨٢٦ م) ولما يتجاوز السابعة عشرة من عمره ميدان الترجمة ، حتى أصبح من بعد زعيم المترجمين العرب والسريان . وقد ترجم حتى موته (سنة ٢٦٤ ﻫ = ٨٧٧ م) من كتب جالينوس مائة إلى السريانية ونصفها إلى العربية ، وترجم أيضاً كتبا عديدة من تأليف أوريباسيوس وبولس الأجانيطى (أوفوليس) ثم من تأليف بقراط وأرسطو وشروحهما وترجم أيضاً الترجمة السبعينية . وبعد حنين قام تلاميذه بترجمة معظم كتب بقراط وجالينوس إلى العربية ، وخصوصاً ابنه إسحق الذى ترجم بقية كتب أرسطو وشراحه ، وأهم الكتب الرياضية والبصرية لأقليدس . ولانستطيع هنا أن ندخل فى تفاصيل ذكر « صغار » المترجمين المائة ، وقد كانوا يتعلمون غالباً اليونانية فى مدارس الأديرة . وقاموا بترجمة ما بقى من كتب الأطباء الرياضيين والفلكيين والفلاسفة الهلينيين القدماء تحت إشراف حنين أو مستقلين عنه .

وقد أنشأ المأمون كما ذكرنا من قبل سنة ٢١٥ ﻫ (= ٨٣٠ م) مدرسة للترجمة فى بغداد سميت باسم بيت الحكمة ، وضع على رأسها يوحنا بن ماسويه ، وكان حنين الشاب أنشط من فيها من المترجمين . وبعد ٢٥ سنة تقريبا جدد الخليفة المتوكل هذه المدرسة ، وجعل حنين رئيساً لها ، وكانت الترجمة فى النصف الأول من هذا القرن الثالث (التاسع الميلادى) غالباً إلى السريانية ، وفى النصف الثانى ازدادت حركة الترجمة إلى العربية شيئاً فشيئاً ، وقام المترجمون أيضاً بإصلاح التراجم القديمة[1] . وكان هناك

---

(١) راجع كتاب برجشتريسر المقدمة ص ٨ من أسفل وص ٩ من أعلى .

بعض الأطباء ورجال الدين المسيحيون ، وعلى الخصوص كان هناك من المسلمين الكبراء فى قصور الخلفاء ، من قاموا إلى جانب الخلفاء بمعونة حركة الترجمة وتشجيعها ، بأن بذلوا المال من أجل الحصول على المخطوطات ، وأجروا الأرزاق على المترجمين وتكفلوا بمعاشهم . ومن أشهر هؤلاء الذين عاونوا الحركة أحمد ومحمد ابنا موسى بن شاكر ، اللذان كانا فى الآن نفسه فلكيين ورياضيين مشهورَيْن . وإلى جانب هؤلاء كان يوجد ثمت كثيرون .

وقد بقى علينا أن نذكر اسم مترجمين آخرين كبيرين كانا مستقلين قطعاً عن حنين : أحدهما ثابت بن قرة الصابئ الحرّانى الذى سنتحدث عنه بعد حين . فقد ترجم عدداً وافراً من الكتب الفلكية والرياضية من تأليف إقليدس ، وأبلونيوس ، وبتِّيس ، ونيقوماخوس ، وأوطولوقس ، وثاودوسيوس ، وبطلميوس إلى العربية . والآخر كان ازدهاره حوالى سنة ٩٠٠ م ، ألا وهو قسطا بن لوقا الذى يقال عنه إنه نصرانى يونانى من بعلبك بسوريا . وقد ترجم كثيراً من المؤلفات الطبية والرياضية (ذيوفنطس) والفلكية ، وترجم إلى جانبها مؤلفات فلسفية صحيحة أو منحولة ، خصوصاً كتب فلوطرخس . ثم إن ثابت بن قرة قد أصلح عدداً كبيراً من مترجمات إسحق بن حنين الفلسفية والرياضية . ويوجد حتى اليوم عدد من المخطوطات العربية وعليها التعليقات الخاصة بها تصحيحاً لها(١) .

ويذكر مؤرخو الكتب العربُ من بين كبار المترجمين أبا يوسف يعقوب بن إسحق الكندى (المتوفى بعد سنة ٢٥٧ هـ — سنة ٨٧٠ م) المسمى فيلسوف العرب(٢) . وقد كان حقاً بحسب ما نعرف أول مسلم أتقن علوم اليونان إلى حد يدعو إلى الدهشة . ولكن لا يعرف من تراجمه إلا شىء

---

(١) راجع مقال بويج عن « كتاب النبات لأرسطو — نيقولاوس » Bouyges, Sur le *De plantis* d'Aristote-Nicolas. In, *Mélanges de l'Université St. Joseph de Beyrouth IX* (1923) pp. 103 - 107.

(٢) راجع فيما يتعلق بما كتب عنه ، دائرة المعارف الإسلامية ج ١ (مادة : الكندى) .

قليل جداً هو فى الواقع جغرافية بطلميوس . ولم تبق لنا أية ترجمة أتمها بنفسه حتى أن دوره كمترجم مجهول تماماً . ولكنه كتب ، معتمداً فى الغالب على التراجم السريانية لعلوم الأوائل ، قرابة ثلثمائة كتاب من تأليفه هو فى الطب والفلسفة الأرسططالية والفيثاغورية المحدثة والأفلاطونية المحدثة ، وفى الرياضيات ، والبصريات ، وفى الفلك ، والآثار العلوية ، والموسيقى والسياسة المدنية ، والأخلاق وغيرها . وعن هذا الطريق ساعد على أن يفتح للعرب الطريق إلى علوم الأوائل ، كما هى الحال فى التراجم ، ولم ينشر حتى الآن من كتبه إلا الشىء القليل ، ومذهبه معروف معرفة قليلة لا تسمح بتكوين رأى نهائى قاطع عن هذا العالم المتقدم الكبير فى العالم الإسلامى . وعلى الرغم مما كان له من مكانة بوصفه عالماً ومن أسرة كانت من أكبر الأسر العربية القديمة ، فإنه لم يُخلِّف تلامذة[1] ، ولم يكن لفلسفته من الأثر فى العرب بعد وفاته مثلُ ما كان لها فى الغرب فى ترجمتها اللاتينية .

ولنذكر أيضاً من بين مشاهير الأطباء فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) يوحنا بن سرابيون[2] النصرانى السريانى ، وعلى بن سهل (رَبّن) الطبرى[3] ، الذى كان نصرانياً وأسلم . وهما قد تركا كتباً اقتبس منها المؤلفون المتأخرون الشىء الكثير . كذلك كان ثاودوسيوس رومانوس اليعقوبى الراهب الطبيب ذا شهرة استحقها عن جدارة . وكان من دير قرطامين فى حرّان[4] . ومثله موسى بن كيبا الأسقف الفيلسوف الذى بقى لدينا قطع من شروحه لأرسطو .

---

(١) [راجع ما يقوله هو نفسه هذا عكس هذا فى ص ٧٦ من أنه كان له تلميذان هما أحمد بن الطيب السرخسى وأبو زيد البلخى] .

(٢) كتابه الرئيسى المسمى « بكناشة فى الطب » وجده حديثاً رتر فى مكتبة أيا صوفيا باستامبول ولم يكن معروفا قبل ذلك إلا التراجم اللاتينية التى طبعت أول ما طبعت سنة ١٤٧٩ .

(٣) طبع مختصره فى الطب حديثا (فردوس الحكمة ، طبع الصديقى ببرلين سنة ١٩٢٨) وهو كتاب يقوم على طب بقراط وجالينوس وفلسفة أرسطو ، ويحتوى فى النهاية على فصل مهم عن الطب الهندى .

(٤) راجع بومشترك ص ٢٨٠ ، وتكاتش ص ٨٤ .

وهكذا كان هناك فيما يختص بالطب طريق رئيسى للعلوم اليونانية فى وصولها إلى العرب يمر بجنوب فارس . أما الطريق الآخر المـــار بدمشق والكوفة و (ربما) البصرة أيضاً فلا نعرف عنه إلا إشارات طفيفة ، على صورة أسماء لبعض العلماء والأطباء الذين كانوا يشتغلون هناك . أما الطريق المباشر للفلسفة الأرسططالية بوجه خاص ، وهو الطريق المار من الإسكندرية إلى بغداد ، فسنتحدث عنه الآ ن .

(ج) الروايات العربية عن انتقال مدرسة الإسكندرية

ونود أن نبدأ هذا الحديث بإيراد رواية للفارابى هى تكملة لمـــا يقوله عن « بدء ظهور الفلسفة » وقد ذكرنا من قبل الجزء الأول من هذا الكلام . يقول الفيلسوف الكبير ما نصه[١] :

« انتقل التعليم (بعد ظهور الإسلام) من الإسكندرية إلى أنطاكية . وبقى بها زمناً طويلا ، إلى أن بقى مُعلم واحد . فتعلم منه رجلان . وخرجا ومعهما الكتب . فكان أحدهما من أهل حرّان[٢] ، والآخر من أهل مرو[٣] . فأما الذى من أهل مرو ، فتعلم منه رجلان : أحدهما إبراهيم المروزى ، والآخر يوحنا بن حيلان . وتعلم من الحرانى إسرائيل الأسقف ، وقويرى . وسارا إلى بغداد ، فتشاغل إسرائيل[٤] بالدين ، وأخذ قويرى فى التعليم . وأما يوحنا بن حيلان فإنه تشاغل أيضاً بدينه[٥] ، وانحدر إبراهيم المروزى

---

(١) ابن أبى أصيبعة ج ٢ ، ص ١٣٥ ، ص ١٤ وما بعده . وهذا الفصل قد ترجم بعض أجزائه اشتينشنيدر ولخصه . ولكن لما لم يكن فى متناول يده إلا مخطوط واحد فقد وقع فى بعض الأخطاء (كتاب « الفارابى » من ص ٨٦ إلى ص ٨٩) .

(٢) فى العراق الأعلى بين الدجلة والفرات وكانت تسمى قديماً Carrhae .

(٣) كانت عاصمة خراسان .

(٤) فى الأصل إبراهيم . ولكن هذا من خطأ النسخ أو الطبع .

(٥) يترجم هذا اشتينشنيدر (ص ٨٧) خطأ فيقول : « bekehrt sich » أى دخل الدين من جديد .

إلى بغداد فأقام بها . وتعلم من المروزى متى بن يونان . وكان الذى يُتَعلم فى ذلك الوقت إلى آخر الأشكال الوجودية . (وقال) أبو نصر الفارابى عن نفسه إنه تعلم من يوحنا بن حيلان إلى آخر كتاب البرهان . وكان يسمى ما بعد الأشكال الوجودية الجزء الذى لا يقرأ ، إلى أن قرئ ذلك ، وصار الرسم بعد ذلك حيث صار إلى معلمى المسلمين أن يقرأ من الأشكال الوجودية إلى حيث قدر الإنسان أن يقرأ ، فقال أبو نصر إنه قرأ إلى آخر كتاب البرهان » .

وليتذكر القارئ هنا أن السريان والعرب ، ولعلهم كانوا فى ذلك يسيرون على ما سار عليه الهلينيون المتأخرون من قبل ، كانوا يعدون المنطق الحقيقى (أى الفلسفة) الأرسططالى هو المقولات والعبارة والتحاليل الأولى والثانية والطوبيقا والسوفسطيقا . وكانوا يضيفون إليها الخطابة والشعر أيضاً . وكانوا يعدون التحاليل الثانية مبحثاً فى الحق المطلق . ولعل ذلك كان السبب الذى من أجله كانت الكنيسة تخشى من دراسته كما يقول الفارابى . أما العرب فكانوا يسمونه كتاب البرهان[1] . قال ابن أبى أصيبعة بعد ذلك (ج ٢ ص ١٣٥ س ٩ من أسفل) : « وحدثنى عَمّى رشيدُ الدين أبو الحسن على بن خليفة[2] ، رحمه الله ، أن الفارابى توفى عند سيف الدولة ابن حمدان[3] فى رجب سنة ٣٣٩ . وكان أخذ الصناعة عن يوحنا بن حيلان ببغداد فى أيام المقتدر[4] . وكان فى زمانه أبو البشر متى بن يونان وكان

(١) راجع مادة : « منطق » لفان دن برج فى دائرة المعارف الإسلامية ج ٢ .

(٢) عم ابن أبى أصيبعة ، طبيب ماهر من دمشق (توفى سنة ٦١٦ هـ = ١٢١٩ م) . وترجمة حياته بالتفصيل موجودة فى ابن أبىأصيبعة ، ج ٢ ، ص ١٢٣ إلى ص ١٣٠ وفى لكلير ج ٢ ، ص ١٧٩ إلى ص ١٨٢ .

(٣) أبو الحسن على ، أول أمير حمدانى فى حلب (من سنة ٣٣٣ هـ = سنة ٩٤٥ م إلى سنة ٣٥٦ هـ = سنة ٩٦٧ م) .

(٤) الخليفة العباسى الثامن عشر ، كانت خلافته من سنة ٢٩٥ هـ = ٩٠٨ م إلى سنة ٣٢٠ هـ = سنة ٩٣٢ م .

أسنّ من أبي نصر ، وأبو نصر أحدّ ذهناً ، وأعذب كلاماً . وتعلم أبو البشر متى من إبراهيم المروزى . وتوفى أبو البشر فى خلافة الراضى[(١)] فيما بين سنة ٣٢٣ إلى سـنة ٣٢٩ . وكان يوحنا بن حيلان وإبراهيم المروزى قد تعلما جميعاً من رجل من أهل مرو » .

ويستمر ابن أبي أصيبعة فيقول (ج ٢ ص ١٣٥ س ٤ من أسفل) :
« وقال الشيخ أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستانى فى تعاليقه[(٢)] إن يحيى بن عدى أخبره أن متى قرأ إيساغوجى على إنسان نصرانى ؛ وقرأ قاطيغورياس وبارمنياس على إنسان يسمى روبيل[(٣)] وقرأ كتاب القياس على أبي يحيى المروزى » .

وبعد هذا يورد ابن أبي أصيبعة كلام صاعد بن أحمد الأندلسى (المتوفى سنة ٤٦٠ هـ = سنة ١٠٦٨ م) عن دراسة الفارابى .

وهنا نورد أيضاً رواية ثانية ذكرها معاصر للفارابى هو المسعودى ، وهى تؤيد الرواية الأولى وتكملها . وهذه الرواية قد ترجمها كارا دى ڤو إلا أنه لم يستغلها[(٤)] ، يقول هذا المؤرخ الجغرافى الكبير الطريف كل الطرافة ، فى موضع من كتابه « التنبيه والإشراف » (ص ١٢١ س ٣ وص ١٢٢ وما بعدها) تلخيصاً لما قاله فى كتاب من كتبه العديدة المفقودة :

« وقد ذكرنا فى كتاب « فنون المعارف وما جرى فى الدهور السوالف » الفلسفة وصدورها والأخبار عن كمية أجزائها . . وكيف انتقل مجلس التعليم[(٥)]

---

(١) الخليفة العباسى العشرون ، كانت خلافته من سنة ٣٢٢ هـ = ٩٣٤ إلى سنة ٣٢٩ هـ = ٩٤٠ م .
(٢) هو كتاب « صوان الحكمة » .
(٣) راجع بعد ، ص ٧٨ .
(٤) المسعودى : كتاب التنبية والإشراف ترجمة كارادى ڤو ، باريس (الجمعية الاسيوية) سنة ١٨٩٦ ص ١٧٠ إلى ص ١٧١ .
(٥) هنا يتصرف كارادى ڤو فى ترجمته كثيراً حين يترجم « مجلس التعليم » بقوله « le chef - lieu de savoir humain » (أى المكان الرئيسى للمعرفة الإنسانية) .

من أثينة إلى الإسكندرية من بلاد مصر ، وجَعَلَ أغسطسُ الملكُ ، لما قتَلَ قاوبطرة الملكة ، التعليمَ بمكانين : الإسكندرية ورومية . ونقل تيودوسيوس الملك — الذى ظهر فى أيامه أصحاب الكهف — التعليم من رومية ورده إياه إلى الإسكندرية . ولأى سببٍ نُقِلَ التعليم فى أيام عمر بن عبد العزيز من الإسكندرية إلى أنطاكية ، ثم انتقاله إلى حران فى أيام المتوكل ، وانتهى ذلك فى أيام المعتضد[1] إلى قويرى ، ويوحنا بن خيلان وكانت وفاته بمدينة السلام فى أيام المقتدر ؛ وإبراهيم المروزى ، ثم إلى أبى محمد بن كرنيب ، وأبى بشر متى بن يونس تلميذى إبراهيم المروزى . وعلى شرح متى لكتب أرسطاليس المنطقية يُعوِّل الناسُ فى وقتنا هذا ، وكانت وفاته ببغداد فى خلافة الراضى . ثم إلى أبى نصر محمد بن محمد الفارابى تلميذ يوحنا بن حيلان وكانت وفاته بدمشق فى رجب سنة ٣٣٩ . ولا أعلم فى هذا الوقت أحداً يرجع إليه فى ذلك إلا رجلا واحداً من النصارى يعرف بأبى زكريا ابن عدى ، وكان مبدأ أمره ورأيه وطريقته فى الدرس طريقة محمد بن زكريا الرازى ، وهو رأى الفوثاغوريين فى الفلسفة الأولى على ما قدمناه »[2] .

وحيال هذه الرواية يشعر الإنسان بأنها ترجع إلى نفس المصدر الذى استقيت منه الرواية الأولى . إلا أنها تمتاز من الأولى بتحديدها للتواريخ ، وبما تضيفه من أن ابن كرنيب ، الفيلسوف الإسلامى المتقدم ، كان أستاذاً إلى جانب أساتذة المنطق المذكورين سابقاً ؛ ويؤيد هذه الرواية أيضاً ما ذكره لنا ابن أبى أصيبعة فى ذكره لتاريخ حياة طبيب فى العصر الأموى . قال ابن أبى أصيبعة (ج ١ ص ١١٦ س ٢١ وما بعده) :

« عبد الملك بن ابْجَر الكنانى ، كان طبيباً عالماً ماهراً وكان فى أول أمره

---

(١) الخليفة العباسى السادس عشر ، كانت خلافته من سنة ٢٧٩ هـ = سنة ٨٩٢ م إلى سنة ٢٨٩ هـ = ٩٠٢ م .

(٢) المقصود بالفلسفة الأولى ما بعد الطبيعة كما ترجم ذلك برجشتريسر . وهذه الكلمة [illegible] ἡ πρώτη Φιλοσοφία .

مقيما فى الاسكندرية، لأنه كان المتولى فى التدريس بها من بعد الاسكندرانيين[١] الذين تقدم ذكرهم، وذلك عند ما كانت البلاد فى ذلك الوقت للملوك النصارى. ثم إن المسلمين لما استولوا على البلاد وملكوا الاسكندرية، أسلم ابن أبجر على يد عمر بن عبد العزيز، وكان حينئذ أميراً قبل أن تصل إليه الخلافة، وصحبه. فلما أفضت الخلافة إلى عمر، وذلك فى صفر سنة ٩٩ هـ، نقل التدريس إلى أنطاكية وحران وتفرق فى البلاد[٢]. وكان عمر بن عبد العزيز يستطب ابن أبجر، «ويعتمد عليه فى صناعة الطب». وبعد هذا يذكر ابن أبى أصيبعة أقوالا لابن أبجر.

وهذه الرواية تؤيد الروايتين السابقتين فيما يتعلق بانتقال مدرسة الفلاسفة والأطباء من الاسكندرية — إذا حسبنا أنه لم يكن ثمة غير مدرسة واحدة — إلى أنطاكية وحران. وتذكر لنا تفصيلا جديداً هو اسم آخر أستاذ فى الاسكندرية. وبغض النظر عن أنه لا توجد أية إشارة مطلقاً إلى هذا الاسم فى كتب التاريخ الأخرى أو فى كتب التراجم العربية، فإن هناك اعتبارات أخرى كثيرة، تاريخية وغير تاريخية، ضد ما يقوله ابن أبى أصيبعة. فإذا كان ابن أبجر عالماً فى أيام الحكم البيزنطى حقاً، فإنه لابد وأن تكون سنه ٣٠ سنة على الأقل حين فتح العرب لمدينة الاسكندرية (سنة ١٩ هـ = سنة ٦٤١). ولما كان الأمير عمر بن عبد العزيز، الذى كان أبوه حاكماً على مصر فى سنة ٦٥ هـ = سنة ٦٨٥ م، قد ولد سنة ٦١ هـ = سنة ٦٨١ م فحسب، وكان لابد قد وصل سن الشباب حينما جعل ابن

---

(١) يقصد بهم مؤلفى جوامع جالينوس؛ راجع ص ٤٧ وما يليها.

(٢) ترجم هذا الفصل أيضاً حامد والى المدرس بمدرسة الدراسات الشرقية ببرلين فى رسالته الموسومة باسم *Drei Kapitel aus Aerztegeschichte des Ibn Abi Oseibi' a* **Diss. Berlin 1910** «ثلاثة فصول من تاريخ الأطباء لابن أبى أصيبعة»، رسالة طبعت فى برلين سنة ١٩١٠، ولكنه ويا للأسف وقع فى أخطاء فى الترجمة تغير من المعنى ولو أنه هو نفسه يقول إن هـ. ف. ماير فى كتابه عن «تاريخ علم النبات» *Geschichte der Botanik*, Bd. III Köingsberg. 1859, S. 145. قد أعطى المعنى الصحيح لهذا الفصل.

أبجر يدخل فى الإسلام ويكون طبيباً له . فإن هذا الأخير تكون سنه حينئذ ٩٠ سنة ، وحين تولى عمر بن عبد العزيز للخلافة (من سنة ٩٩ هـ = سنة ٧١٨ م إلى سنة ١٠١ هـ = سنة ٧٢٠ م) تكون سنه أكبر من ١٠٠ سنة ! وبغض النظر عن هذا أيضاً فإن من المستحيل كل الاستحالة أن يكون عربى مسيحى فى زمان البيزنطيين (الروم) رئيساً لإحدى المدارس فى الاسكندرية. ومن أجل هذا كله يجب علينا أن نخرج البيزنطيين من حسابنا ، وأن ننتقل بما يورده ابن أبى أصيبعة إلى العصر الإسلامى المتقدم .

وبعد ما قمت به عبثاً من بحث عن ابن أبجر فى كتب التاريخ والتراجم تفضل صديقى العالم الدكتور فان آرندنك C. Van Arendonk من ليدن فأسعدنى بما لديه من معرفة واسعة فى التاريخ، إذ قد وجد أن اسم ابن الحبر الذى ذكره صاعد الأندلسى[1] فى الكتاب المذكور آنفاً (ص١٧) والذى كان طبيباً لعمر الثانى هو تحريف فى اسم ابن أبجر ، ووجد أيضاً أن ابن قتيبة[2] (المتوفى سنة ٢٧٦هـ = سنة ٨٨٩م) يذكر أن بنى أبجر ينتسبون إلى بنى فراس من كنانة ، وأنهم كانوا أطباء فى الكوفة . وأخيراً وجد فان آرندنك فى موضع لم يكن من المنتظر أن يوجد فيه شىء ، وهو كتاب ابن حجر العسقلانى (المتوفى سنة ٨٥٢ هـ = سنة ١٤٤٩م)[3] فقرة عن عبد الملك ابن سعيد بن حيان بن أبجر الهمدانى الملقب بالكنانى الكوفى ، جاء فيها أن هذا الأخير كان محدثاً قد اشتهر أيضاً بمعارفه الطبية ، قال ابن حجر : « وكان من أطب الناس ، فكان لا يأخذ عليه أجراً » . أما عن حياته فيقول إنه توفى بعد سفيان الثورى الكوفى المتوفى سنة ١٦١هـ = ٧٧٨م ، ولما كان ابن أبى أصيبعة يذكر (جـ١ ص١١٦ س٢٨) رواية لسفيان عن عبد الملك

---

(١) « طبقات الأمم » ، طبع لويس شيخو ، بيروت سنة ١٩١٢ ، ص ٤٨ ، س ١ . ولكن الفهرست الموجود فى ١٦٧ يعطى الإسم الصحيح ابن أبجر .

(٢) « كتاب المعارف » ، طبع ڤستنفلد بمدينة جيتنجن سنة ١٨٥٠ ، ص٢٣ ، س١٠ .

(٣) « تهذيب التهذيب » طبعة حيدر آباد سنة ١٣٢٧ ، جـ ٦ ، ٣٩٤ رقم ٨٤٥ .

ابن أبجر ، فنحن أمام فرضين : فإما أن يكون هذا الأخير قد عاش بالضرورة بعد الخليفة عمر بن عبد العزيز بكثير (توفى عمر سنة ١٠١ هـ = ٧٢٠م) ، وإما أن نكون هنا بإزاء طبيبين مختلفين اسمهما واحد . وثانى هذين الفرضين أكثر الاثنين احتمالا ، خصوصا إذا لاحظنا أن اسم أبجر كان شائعاً فى شمال العراق[1] . وخليق بنا أن نذكر أيضاً أن ابن أبى أصيبعة (ج ١ ص ١١٦ س ١٧) فى الترجمة السابقة على ترجمة ابن أبجر يورد اسم هذا الأخير على أنه ممن رووا كلاماً يتعلق بابن أبى رمثة التميمى الذى كان طبيباً فى عهد رسول الله .

فمن الممكن إذن أن ابن أبجر قد كان طبيباً وصديقاً للخليفة عمر بن عبد العزيز ، أما دوره رئيساً لإحدى المدارس فى الاسكندرية فمن المؤكد أنه خرافى . لأن الدراسات اليونانية كانت حينذاك كلها فى أيدى الأساتذة النصارى الذين كانوا كلهم من رجال الدين تقريبا . ثم إنا لا نجد فى سيرة عمر بن عبد العزيز[2] التى ألفها ابن عبد الحكم ما يؤيد الروايات المذكورة أو ينفيها . ولكن هذه السيرة ذات طابع نصف خرافى . وهى تعنى خصوصاً بورع عمر الثانى وكاماته الدينية . وعمر هذا هو الخليفة الأموى الوحيد الذى كان أهل السنة فى العصر المتأخر ينظرون إليه بعين الرضا . والنتيجة التى نستخلصها من روايات الفارابى والمسعودى وابن أبى أصيبعة التى أوردناها آنفاً هى أن مدرسة الاسكندرية وجدت حتى بعد فتح العرب لمصر ، وأنها انتقلت ، بعد مضى ثمانين سنة تقريباً على الفتح الاسلامى ، إلى الشرق الأدنى .

د — مدرسة الاسكندرية فى أنطاكية وحران

لم يقل لنا المسعودى لأى سبب انتقلت مدرسة الاسكندرية فى خلافة

---

(١) جرياً على اسم الملك أبجر السريانى المسيحى (بومشترك ص ٢٨ وما يليها) .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز ، طبع أحمد عبيد بالقاهرة سنة ١٣٤٧هـ (= ١٩٢٥م) .

عمر الثانى القصيرة من الاسكندرية إلى إنطاكية ؛ وإنما هو يشير إلى واحد من كتبه العلمية التاريخية المفقودة . وعبثا حاولت البحث عن هذا السبب فى «مروج الذهب» ، ثم فى أقوال الفارابى المتناثرة عن تاريخ الفلسفة . ومع هذا كله يستطيع المرء أن يعد من بين الأسباب التى أدت إلى انتقال مدرسة العاصمة المصرية القديمة ، تلك العزلة التى أصبحت الاسكندرية فيها منذ فتح العرب ، فقد فصلت عن بيزنطة بسبب حروب البحر المستمرة . وكان لامناص من أن تذهب عنها أهميتها الثقافية والاقتصادية منذ أصبحت دمشق مركزاً لإدارة الإمبراطورية الإسلامية الجديدة ، هذا إلى أنه من المعلوم جيداً أن الاسكندرية لم تجد مطلقا سنداً لها فى السكان الأقباط الأصليين فى مصر . ولسنا نعلم هل كان قد بقى شىء من المكتبة القديمة ، وعلى كل حال فلا بد أن يكون العلماء الذين يعرفون اليونانية قد تناقص عددهم ، ولابد أن حركة الترجمة إلى السريانية ، تلك الحركة التى بدأها بعض العلماء الاسكندرانيين فى القرن السادس (راجع ص ٥٤) ، قد أصيبت بشلل كبير .

ومن أجل هذا كان طبيعياً جداً أن تنتقل المدرسة إلى الشرق الأدنى فى المنطقة السريانية .

وليس فى الروايات ما يدلنا أدنى دلالة على أن الخليفة عمر بن عبدالعزيز نفسه قد اشترك فى نقل المدرسة ، أو كان السبب فى هذا الانتقال . نعم إن خلافته التى لم تستمر إلا سنتين كانت غنية بأنواع الإصلاح السياسى والاقتصادى والدينى . ولكننا لا نعلم هل كانت لديه أية ميول إلى العلوم وعناية بها . فمثل هذه الميول وتلك العناية كانت تعوز الأمويين عامة ، وليس للمرء أن يتوقع غير هذا من أناس جاءوا من الصحراء والبادية ، ولا يستثنى منهم إلا الأمير خالد بن يزيد بن معاوية الذى توفى سنة ٨٤ هـ = ٧٠٤م قبل أن يصل إلى الخلافة ، وهو الذى يقول صاحب «الفهرست» (ص٢٤٢) عنه إنه كان يسمى «حكيم آل مروان (أى آل أبى سفيان)» . ويذكر عنه ابن عساكر

فى كتابه « التاريخ الكبير »[1] ما نصه : « وقيل عنه : قد علم علم العرب والعجم » . وفى العصور المتأخرة نسجت حول شخصيته أسطورة ضخمة فنسب إليه أنه من أصحاب الصنعة ، ونحلوه كتباً كثيرة فى الصنعة[2] .

ولسنا نفهم كذلك لماذا أصبحت أنطاكية الموطن الجديد للمدرسة . نعم كانت هذه المدينة مركزاً للثقافة العلمية اليونانية ؛ إلا أنها عانت الكثير من الأحداث فى القرون الأخيرة قبل أن يستولى عليها العرب (سنة ١٧ = ٦٣٨م): فقد خربها غزو الفرس وخربتها الزلازل . ونظراً إلى وقوعها على الحدود القلقة بين الإمبراطورية البيزنطية والإمبراطورية العربية بقيت فى العصر الإسلامى موضع نزاع مستمر بين العرب واليونانيين . ومع هذا فلست أرى من غير الممكن أن تكون قد اختيرت لأن هذا الموقع نفسه قد جعل من السهل إحضار المخطوطات اليونانية من آسيا الصغرى ، لأن حركة التبادل كانت نشيطة دائماً على الحدود فى الفترات الخالية من الحروب ، وكان القوم يجدون فى البحث عن أمثال هذه المخطوطات ، كما يتبين لنا من كلام لحنين بن إسحق[3] ، وذلك من أجل إيجاد مكتبة ، أو من أجل إكمال المكتبات القائمة من قبل . فإنا نعرف من كلام الفارابى (ص ٦١) أن مثل هذه المكتبة قد وجدت حقاً ، ومن المؤكد أن العناية فى المدرسة الحديثة اتجهت إلى الترجمة إلى السريانية ، ولو أنه ليست لدينا روايات فى المصادر السريانية عن شىء من هذا ، بل ولا عن وجود المدرسة نفسها .

ثم إن مصادرنا الثلاثة تتفق فى أن « مجلس التعليم » قد انتقل من بعد من أنطاكية إلى حران . وهذا الانتقال أسهل فى الفهم من انتقالها من

---

(١) « التاريخ الكبير » جـ ٥ (دمشق سنة ١٢٣٢ هـ) ص ١١٨ س ٧ .

(٢) ج . روسكا ، « أصحاب الصنعة العرب » جـ ٢ : خالد بن يزيد بن معاوية ، هيدلبرج سنة ١٩٢٤ J. Ruska, *Arabische Alchemisten* 2. Chaled ibn Jazid ibn Mu'awija, Heidelberg..

(٣) برجشترسر ص ١٤ و س ٣٨ .

الإسكندرية إلى أنطاكية ، لأن مدينة حران ظلت مركزاً مهماً دائماً للثقافة اليونانية فى المنطقة التى يتكلم أهلها اللغة الآرامية الشرقية ، وكانت إلى جانب هذا نقطة مهمة للتبادل والاتصال ، حتى إن آخر الخلفاء الأمويين ، وهو مروان الثانى ، نقل مركز الخلافة أحياناً أثناء مدة خلافته إلى هذه المدينة الكائنة بالعراق الأعلى[١] . أما أهلها فكانت الغالبية منهم وثنيين يعبدون الكواكب ، مما دفعهم إلى ملاحظة السماء ، والتعمق فى الدراسات الفلكية . وفى أيام المأمون فى مستهل القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) نجا أهلها من الإفناء بأن أعلنوا أنهم ذرية الصابئة من العرب القدماء ، واتخذوا اسم « الصابئة »[٢] . وكان جيرانهم وأغلبهم من السريان النصارى ينظرون شزراً إلى الحرانيين ، وكانت مدينتهم تسمى هلينوبوليس (مدينة اليونانيين) احتقاراً لها وتهكماً عليها . لكن الدراسات اليونانية كانت متقدمة منذ زمن بعيد فى هذه المنطقة كلها (راجع ص ٥٩) وكان القائمون بها من النصارى والوثنيين على السواء . ويخطىء ابن أبى أصيبعة خطأ تاريخياً حين يقول إن التدريس الفلسفى «تفرق فى البلاد» فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) فحسب (انظر ص ٦٥) . وكانت الدراسات حسب ما نعرف فلكية رياضية سحرية فلسفية طبية ، وعند الصابئة كانت للفلك المكانة الأولى[٣] .

وهنا أيضاً يعوزنا تأييد الرواية الواردة فى المصادر الثلاثة السابقة الذكر عن المدرسة فى حران: فالمصادر العربية أو السريانية الأخرى لا تقدم لنا مثل هذا التأييد ، وكتاب «التنبيه» يحدد الزمن الذى انتقلت فيه مدرسة انطاكية ، فيقول إن ذلك كان فى خلافة المتوكل (من سنة ٢٣٢ هـ = سنة ٨٤٧

---

(١) لامانس : « تاريخ سوريا » ، طبعة بيروت سنة ١٩٢١ ص ١٠ H. Lammens La Syrie, Précis historique,

(٢) مادة «الصابئة» . ولكن راجع أيضا تكاتش ص ١١٤ .

(٣) يذكر شفولسن فى كتابه « الصابئة والصابئون » ، بطرسبرج سنة ١٨٥٦ ج ١ من ص ٥٤٣ إلى ص ٦٢٣ ، أسماء أكثر من ٣٩ عالماً من الصابئة من بينهم رياضيون وفلكيون كثيرون .

إلى سنة ٢٤٧ هـ = سنة ٨٦١ م) وهكذا تكون المدرسة قد بقيت فى أنطاكية ١٢٠ أو ١٤٠ سنة تقريباً ، قبل أن تنتقل إلى حران على يد تلميذين لم يذكر اسمهما ، تتلمذا على آخر أستاذ كان فى أنطاكية ، واسمه غير معروف أيضاً ، وهذه الرواية تقول بصراحة إنهما أخذا المكتبة معهم إلى حران . وكان أحدهما حرانياً — صابئاً ، أو نصرانياً لا نعرف على وجه التحقيق — والآخر من مرو .

ويظهر أن وجود المدرسة فى حران قد اعتمد على هذين التلميذين اللذين تتلمذا لآخر انطاكى لأن تلاميذهما رحلوا إلى بغداد كلهم تقريباً . وهنا تتفق رواية كتاب « التنبيه » عن الزمن ، مع ما وصل إلينا من وقائع أخرى : فقد كان ارتحال الفلاسفة فى خلافة المعتضد عم المتوكل ، وكانت خلافته من سنة ٢٧٩هـ = ٨٩٢م إلى سنة ٢٨٩هـ = سنة ٩٠١/٢م . وعلى هذا لم تستمر الدراسة فى حران أكثر من أربعين سنة تقريباً .

ولسنا نعرف من أسماء التلاميذ ، الذين أصبحوا من بعد أساتذة فى بغداد ، إلا أسماء من كانوا فى أواخر أيام مدرسة حران (راجع ص ٥٩ وما يليها) . كان هؤلاء جميعاً أربعة من النصارى من بينهم إثنان من رجال الدين . ولهذا فمن المحتمل جداً أن مدرسة حران لم يكن يديرها الصابئة ، وإنما كان أساتذتها من النصارى ككل المدارس الفلسفية فى ذلك العصر . والكندى الذى عاش آنئذ فى بغداد وكان أول فيلسوف مسلم (راجع ص ٥٩) ، لم يكن يدير أية مدرسة ، وإنما كان يعطى دروساً خاصة . ومن بين تلاميذ هؤلاء الأساتذة الأربعة نجد أولا اسم رجل مسلم هو ابن كرنيب الذى أصبح فيما بعد رئيس مدرسة كما يقول كتاب « التنبيه » (راجع ص ٦٣) .

ولا بد لنا أن نلقى الآن نظرة على موقف الصابئة بالنسبة إلى الدراسات العلمية فى بغداد ، لكى نبين أن نشاطهم فى القرن الثالث (القرن التاسع الميلادى) لم يكن مرتبطاً بالمدرسة الفلسفية .

كان أشهر العلماء الصابئة قبل انتقال هذه المدرسة إلى بغداد ثابت بن قرة (عاش بين حوالى سنة ٢١٩ هـ = سنة ٨٣٤ م إلى سنة ٢٨٨ هـ = سنة ٩٠١ م)[١] الذى ارتحل من حران إلى بغداد لخلاف بينه وبين أبناء دينه. وهناك فى بغداد لفت الأنظار إليه بمعارفه الواسعة ونشاطه الهائل فى الترجمة. فاتخذه الأمير المعتضد ، الذى أصبح من بعد خليفة ، صديقاً له . وفى أثناء خلافته وصل ثابت ، وقد بلغ من الكبر عتياً ، أسمى المراتب ، وأعلى المنازل . وهو الذى أدخل رئاسة الصابئة إلى أرض العراق ، فثبتت أحوالهم ، وعلت مراتبهم ، وبرعوا » (ابن القفطى ص ١١٥ س ١٨ وما يليه) . « وهو أصل ما تجدد للصابئة من الرئاسة فى مدينة السلام وبحضرة الخلفاء » (ابن أبى أصيبعة ج ١ ص ٢١٥ فى أسفلها) والواقع أن كثيرين من أبناء هذا العالم الكبير وأقاربه بلغوا مراتب عالية فى بغداد فى القرن التالى : فمن بينهم من كانوا كتاب الدولة وأطباء الخلفاء وفلكييهم[٢] ولكن ثابتاً نفسه لم يكن طبيباً ولا « رئيس الأطباء والفلاسفة » ، وهذه مرتبة أوجدها الخلفاء ببغداد فى النصف الثانى من القرن الثالث (القرن التاسع الميلادى) تشبهاً بما كان فى العصر البيزنطى من مراتب للعلماء ἀρχιατρος (أى رئيس الأطباء) σχολαρχης (أى رئيس مدرسة) ، والمعتضد نفسه لم يمنح هذا اللقب لصديقه القديم المخلص ثابت وإنما منحه للطبيب غير المعروف تماماً وهو غالب[٣] ، طبيب المعتضد. ثم إنا لا نعرف شيئاً عن نشاط ثابت فى التدريس العام . والظاهر أنه بقى دائماً عالماً خاصاً ، درس عليه بعض التلاميذ ، وقصر نشاطه على العمل العلمى الواسع وعلى الترجمة .

ومن المحتمل أن يكون ابنه سنان قد حاز لقب « رئيس الأطباء » ولو

---

(١) راجع ص ٥٩ . وراجع أيضاً ڤيدمان ، «أبحاث فى تاريخ العلوم» ج ٦٤ (سنة ١٩٢٠)
E. Wiedemann, *Beiträge zur Geschichte der Naturw.* LXIV (1920).

(٢) راجع مادة : « الصابئة » فى نهايتها ، « بدائرة المعارف الاسلامية » .

(٣) ابن أبى أصيبعة من ص ٢٣٠ إلى ٢٣٢ .

أن القطع الباقية من ترجمته[١] لا تقول لنا عن هذا شيئاً ، لأن الخليفة المقتدر وكل إليه سنة ٣١٩هـ (سنه ٩٣١م) أمر امتحان ثمانمائة ونيف وستين طبيباً ببغداد وما حولها. وهذا الامتحان قد كشف أحياناً عن أشياء مضحكة خاصة بثقافة الكثير من هؤلاء المتطبين[٢] .

هـ — التعليم والأساتذة فى بغداد

ارتحل إذن حوالى نهاية القرن الثالث (التاسع الميلادى) أربعة من الفلاسفة النصارى من حران إلى بغداد ، وبدأوا التدريس هناك . وكانت مدارسهم ذات طابع خصوصى . وعلينا أن ننظر إلى التسمية « برؤساء مدارس » على أن هذه التسمية قائمة على إجماع كل الفلاسفة ، لا على أنها تسمية رسمية . إذ من المؤكد أن المسلمين السنيين أصحاب النفوذ فى قصور الخلفاء كانوا يعارضون فى أن تنشىء الدولة مدارس لدراسة الفلسفة . وقد كان لهؤلاء المسلمين السنيين منذ خلافة المتوكل نفوذ كبير ظل يزداد يوماً بعد يوم[٢] . وليس لدينا من الروايات ما يدل على وجود منشآت علمية عامة فى بغداد إبان ذلك العصر . وقد أكد لى عالم مصرى شاب رأى كتاب

(١) ألفها ابن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة . وقد بقيت لنا منها أجزاء فى ابن القفطى وابن أبى أصيبعة .

(٢) ابن القفطى ص ١٩١ ؛ ابن أبى أصيبعة جـ ١ ص ١٢٢ ؛ لكلير جـ ١ ص ٣٤٤ وما يليها ؛ براون ص ٤٠ وما يليها . وقد حدث امتحان كهذا مع نفس النتيجة فى بغداد بعد ذلك بقرنين فى خلافة المكتفى ، الذى فوض إلى ابن التلميذ الطبيب النصرانى (الملقب بأمين الدولة) رئاسة الطب ببغداد وأمره بالقيام بهذا الامتحان (ابن القفطى ص ٣٤٠ ؛ ابن أبى أصيبعة جـ ١ ص ٢٦١ س ٢٠ وما يليه ؛ لكلير جـ ٢ ص ٢٦) . وكان أيضاً ثمة رؤساء للأطباء فى دمشق والقاهرة والمدن الأندلسية . وإلى جانب هذا وجدت وظيفة « محتسب » ، تخضع لها مهنة الأطباء من بين المهن الأخرى .

(٢) راجع العرض القيم الذى عمله جولدتسيهر لهذه المسألة كلها فى مقاله عن « موقف أهل السنة القدماء بإزاء علوم الأوائل » Goldziher, Stellung der alten islamischen Orthodoxie zu der antiken Wissenschaften Abh. d. Kgl. Pr. Akad. d. Wiss, 1915. Phil. hist. Kl. n. 8. [راجعه فى القسم الخاص « بالدين والتراث » من هذا الكتاب ص ١٢٣ — ١٧٣] .

تاريخ بغداد المخطوط (فى استامبول) للخطيب البغدادى[١] أنه لا يوجد فى هذا الكتاب أية إشارة إلى وجود مدارس للفلسفة أو أكاديميات علمية عامة أو خاصة . أما عن المكاتب الخاصة فلدينا الروايات التى جمعتها أخيراً أوجا بنتو[٢] . ومنذ منتصف القرن الثالث (التاسع الميلادى) لا نعرف بعد شيئاً عن وجود مكتبة عامة ، حينما أعاد المتوكل بيت الحكمة الذى أنشأه عمه المأمون .

وحوالى سنة ٣٨٢ هـ = سنة ٩٩٢ م بحسب أنشئت الأكاديمية المسماة «دار العلم» ، أنشأها الوزير ابن اردشير ، وجعل لها مكتبة ضخمة ، إلا أنها نهبت ، وأحرقت سنة ٤٤٧ هـ = سنة ١٠٥٥ م ، حينما استولى جنود طغرل بك على بغداد[٣] .

ومن بعد سنتحدث عن منشئات التعليم الطبية أى البيمارستانات ومافيها من أطباء . عينتهم الدولة ، وكانوا فى نفس الآن أساتذة . ونريد الآن أن نتحدث أولا عن الثمانية الأساتذة للفلسفة الذين ذكرتهم كتب التاريخ على أنهم هم رؤساء مدارس . وقد كان من بينهم من كانوا فى نفس الآن أطباء مثل المروزى والفارابى . والمتأخرون من أصحاب كتب التراجم يسمون الواحد منهم تارة باسم «حكيم» ، وطوراً باسم «فيلسوف» ، وأخيراً باسم «منطقى» ، وهذا الاسم الأخير يطلق خصوصاً على أبى بشر متى ، ويحيى بن عدى ، وتلميذه أبى سليمان السجستانى . أما الذين تلوهم فكانوا يسمون «الأطباء المتميزين فى العلوم الحكمية» .

١ — اسرائيل : أول فيلسوف مذكور فى روايتى الفارابى وكتاب «التنبيه» . لم يكن له تلاميذ ، ولم يترك مؤلفات . وكان تبعاً لهاتين الروايتين

---

(١) [هذا الكتاب طبع من بعد فى القاهرة ؛ نشرته مكتبة الخانجى] .

(٢) «مكتبات العرب فى العصر السياسى» Le biblioteche degli Arabi nell' età degli Abbassidi. Bibliofilia XXX (1928). الكراسة من ٣ إلى ٥ . وقد طبعت أيضاً على حدة من ٧ — ٩ .

(٣) الكتاب السابق ص ١٤ — ١٥ ، إلا أن التواريخ ليست صحيحة فى هذا المقال .

أسقفاً، ويظهر أن ذلك كان بحران. واسمه غير وارد فى الكتب السريانية.

٢ — قُوَيْرى (قويرى؟)[1] : يسميه الفهرست (ص ٢٦٢ أسفل) أبا إسحاق ابراهيم ، ويقول إنه كان أستاذاً لأبى بشر متى . والقويرى من الكتب : كتاب تفسير قاطيغورياس مشجر. كتاب باريرمينياس مشجر، كتاب أنالوطيقا الأولى مشجر، كتاب أنالوطيقا الثانى مشجر. ويؤخذ عليه أن «كتبه مطرحة مجفوة ، لأن عبارته كانت عفطية غلقة » . وينسب إليه ابن القفطى (ص٣٧ س ١٥) شرحاً لكتاب سوفسطيقا لأرسطو . ويكرر ابن أبى أصيبعه (ج١ ص٢٣٤) ما قاله الفهرست ، ويضيف إلى ذلك أنه ارتحل إلى بغداد فى خلافة المعتضد . ولم يبق شىء من كتب قويرى .

٣ — يوحنا بن حيلان: لا نعرف عنه إلا الأقوال المتفقة الواردة لدى ابن القفطى (ص ٢٢٧) وابن أبى أصيبعة (ج٢ ص ١٣٥) . وصاحب الفهرست لا يذكره مطلقاً . وبحسب الأخبار التى أوردناها آنفاً (راجع ص ٦٢ وما يليها) كان أستاذاً للفارابى ، وقد قرأ له ، بعد أن لم يكن راضياً فى البدء ، كل ما كان فى المقدور قراءته من كتب أرسطو المنطقية حتى أنالوطيقا الثانية ، التى كانت قراءتها ممنوعة . ومات ببغداد فى الثلث الأول من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) . وليس من الثابت فى أى مكان درس عليه الفارابى : فى حران أو فى بغداد .

٤ — أبو يحيا (زكريا) المروزى[2] : لم تقل عنه المصادر إلا الشىء القليل . وصاحب الفهرست (ص ٢٦٣) يعرف عالمين بهذا الاسم كان أحدهما رياضياً. أما عن الفيلسوف الذى نحن بصدده والذى يعنينا هنا فيقول الفهرست إنه كان فاضلا ، وإن أبا بشر متى بن يونس قرأ عليه ، لكنه كان سريانياً [أى فى لغته] ، وجميع ماله فى المنطق وغيره بالسريانية. وكان طبيباً

(١) أميل إلى افتراض أن هذا الإسم الغريب المكتوب دائماً بغير أداة التعريف نشأ عن تحريف فى اللفظ السريانى فى يور (قيرس) .

(٢) نسبة إلى مدينة مرو . وتبعاً لبو مشترك كان اسمه برخاريا (برتجلول)

مشهوراً بمدينة السلام » . وقد نقل هذا الكلام عن الفهرست بنصه ابن القفطى (ص ٤٣٥ س ١٧ وما بعده) وابن أبى أصيبعة (ج ١ ص ٢٣٤ وما يليها) . وإلى جانب هذا يذكر الفهرست (ص ٢٤٩ س ١٤) وابن القفطى (ص ٣٦ س ١٥) أن أبا يحى شرح أنالوطيقا الثانية وهو الكتاب الذى كان الاشتغال به ممنوعاً على المسيحيين ، كما يظهر من كلام الفارابى (راجع ص ٤٤) . وتاريخ حياته ليس معروفاً على وجه التحقيق .

٥ — أبو أحمد الحسين بن أبى الحسين بن اسحق بن ابراهيم بن يزيد بن كرنيب الكاتب ، كما يسميه الفهرست (ص ٢٦٣ أعلى) . وكان ابناً وأخاً لرياضيين مشهورين[١] . وهو يكون مع تلميذى الكندى : أحمد بن الطيب السرخسى وأبى زيد أحمد البلخى ، الجيل الثانى من الفلاسفة المسلمين. ولكن كتاب « التنبيه » (ص ١٢٢ س ٦) يذكره وحده كرئيس مدرسة فى بغداد . وتبعاً للفهرست يعد من بين المتكلمين والفلاسفة الطبيعيين . وكان فى نهاية الفضل والمعرفة والاضطلاع بالعلوم الطبيعية القديمة . وكان أبو بشر متى النصرانى المشهور تلميذاً له . وابن القفطى (ص ١٢٩) وابن أبى أصيبعة (ج ١ ص ٢٣٤) فى كلامهما عنه إنما ينقلان ما كتبه الفهرست بالحرف الواحد . وينسب إليه أنه ألف كتابين فلسفيين صغيرين من بينهما كتاب فى الرد على أبى الحسن ثابت بن قرة ، وينسب إليه ابن القفطى فى موضع آخر (ص ٣٩ س ٩) شروحاً لبعض أجزاء من السماع الطبيعى ؛ ويُنسب إليه خطأ كتاب فى الفلك ، هو فى الواقع من تأليف أبيه اسحق .

٦ — أبو بشر متى بن يونس[٢] : فاق فى الشهرة كل من سبقوه . حتى أساتذته المذكورين هنا تحت أرقام ٢ و ٤ و ٥ . وتلقى تربيته الأولى كمعظم العلماء النصارى فى مدرسة ملحقة بأحد الأديرة ، وربما كان ذلك على يد روفيل

---

(١) الفهرست ص ٢٦٣ ، ٢٧٣ ، ٢٨٣ ؛ وراجع سوتر برقم ٨٠ و ٩٧ .

(٢) يظن سوتر (برقم ١٠٢) خطأ أن متى يونانى ، خالطاً بذلك بين اسم أبيه السريانى « يونان » المكتوب بغير أداة تعريف ، وبين اللفظ العربى للدلالة على الرجل « اليونانى » .

وبنيامين اللذين أصبحا فيما بعد راهبين ولكنهما كانا يعقوبيين ، بينما منبت متى فى الوسط النسطورى الذى سنذكره حالا . قال صاحب الفهرست عنه (ص ١٠٣) : « أبو بشر متى بن يونس — وهو يونان — من أهل دير قنى[1] ، ممن نشأ فى أسكول مر (هكذا) مارى[2] . . . . وله تفسير من السريانى إلى العربى . وإليه انتهت رياسة المنطقيين فى عصره » . ويذكر الفهرست من بين الكتب التى ترجمها كتاب تفسير الثلاث مقالات الأواخر من تفسير ثامسطيوس للتحاليل الأولى . ويظهر أنها لم تكن قد ترجمت من قبل إلى العربية (الفهرست ص ٢٤٩ س ٥ وما يليه) . ثم نقل كتاب البرهان الفص ، وكتاب سوفسطيقا الفص ، وكتاب الكون والفساد بتفسير الاسكندر ، وكتاب الشعر الفص ، كذلك نقل كتاب تفسير الاسكندر لكتاب السماء الذى أصلحه من بعد أبو زكريا يحيى بن عدى ، وكتاب نقل اعتبار الحكم وتعقب المواضع لثامسطيوس. وكانت تراجمه كما يقوله « التنبيه » (راجع ص ٦٤) هى التى يعول عليها فى منتصف القرن الرابع (العاشر الميلادى) ويذكر ابن القفطى (ص ٤١ س ١٤ وما يليه) أنه فى زمانه أى

---

(١) ديرقنى وبالسريانية دايرا ديقونى ، كان قربة بها دير فى الجنوب الغربى من بغداد بالقرب من الدجلة (ياقوت ، معجم البلدان ، طبع ڤستنفلد ، ليبتسك ج ٢ [سنة ١٧٦٧] ص ٦٨٧ وما بعدها وج ٤ [سنة ١٨٦٩] ص ١٧٨) . راجع التعليق التالى .

(٢) حول مارمارى، رسول العراق وفارس الخرافى، راجع ر. رابه ، «تاريخ مارمارى ، أحد رسل الشرق » ، ليبتسك سنة ١٨٩٣ R. Raabe, *Die Geschichte des Dominus Mari, eines Apostels des Orients* . وراجع أيضاً بومشترك ص ٢٨

وقد تفضل الأستاذ بومشترك، الذى أدين له بوافر الشكر ، فأرسل لى ، إجابة عن سؤالى إليه ، تاريخاً مفصلا لديرقنى ، آمل أن أنتفع به فى موضع آخر . ويكفى هنا أن نذكر أن هذا الدير قد أنشأه القديس عبده حوالى سنة ٤٠٠ م ، وبقى ألف سنة على أقل تقدير ، إذ كان موضعاً يحج إليه كثيراً فى القرن الرابع عشر . وقد حطم فى خلافة المتوكل فى القرن التاسع الميلادى . ولكنه بنى من بعد من جديد ويظهر أن اسم مارى القديس لم يذكر مع الدير إلا منذ هذا الوقت . وأسماء التلاميذ (الاسكولائيين) تذكر بجانب أسماء الرهبان . وكان متى من بين التلاميذ الذين نشأوا هناك ، بعد بنائه من جديد بزمن غير طويل .

فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) لم يكن يوجد نقل عربى حسن لكتاب « الحس والمحسوس » ، وإنما كان الموجود من ذلك هو شيء علق عن أبى بشر متى بن يونس .

وقد ترك أكبر تلاميذه ، يحيى بن عدى ، تبعاً لما يقوله القفطى (ص ٣٦٣ س ٨) تعاليق عدة عن أبى بشر متى فى أمور جرت بينهم فى المنطق . ويذكر ابن القفطى أيضاً (ص ٢٨٢ س ١٧) من بين تلاميذ متى الكبار أبا سليمان المنطقى السجستانى (راجع بعد) .

ويذكر ابن العبرى[١] عن متى أنه كان نسطورياً . وهذا مفهوم بطبيعته . لأن نشأته كانت فى دير قنى ، وهو دير نسطورى ، وأنه مع ذلك تعلم المنطق أول ما تعلم على يد راهبين يعقوبيين هما روفيل وبنيامين . ولا بد أن يكون ذلك بعد أن غادر الدير . وينص ابن أبى أصيبعة (جـ ١ ص ٢٣٥ س ٥ وما يليه) على أن متى توفى فى بغداد فى ١١ رمضان سنة ٣٢٨ (= ٢٢ يونيه سنة ٩٤٠ م) .

٧ — وشهرة أبى نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابى (المتوفى فى رجب سنة ٣٣٩ هـ = ديسمبر سنة ٩٥٠ أو يناير سنة ٩٥١) تغنى عن الخوض فى تاريخ حياته[٢] . وهو يذكر عن نفسه أن أستاذه فى الفلسفة كان يوحنا ابن حيلان المذكور آنفاً (راجع ص ٦٢ و ص ٧٥) ومن المحتمل أيضاً كل الاحتمال أن يكون قد تأثر بأبى بشر متى الذى كان معاصراً له ، وربما كانت سنه كسنه . والفارابى أشهر الفلاسفة المسلمين بعد الكندى بل إنه فاق الكندى فى تأثيره بعد حياته فى الأجيال التالية . وإلى عمله يرجع تأثر علم الكلام بمنطق أرسطو تأثراً أكبر كثيراً من تأثير الكندى والمعتزلة

---

(١) « تاريخ مختصر الدول » طبع صالحانى ، بيروت سنة ١٨٩٠ ص ٢٨٥ س ٨ .

(٢) اشتينشنيدر ؛ بروكلمن جـ ١ ص ٢١٠ إلى ص ٢١٣ ؛ لكلير جـ ١ ص ٣٥٩ إلى ص ٣٦١ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (مادة : الفارابى ، لكارادى فو) .

فى القرن السابق . ومن أجل هذا سمى « المعلم الثانى » (أى بعد أرسطو) ولم يفقه إلا ابن سينا فى شهرته كفيلسوف وطبيب . وعلى الرغم من أن الفارابى كان يعرف الكثير من اللغات ، فإنه لم يكن مترجماً . وفى مقابل هذا قدم فى كتبه التى فاقت المائة[1] للعالم العربى جزءاً كبيراً من مؤلفات أرسطو وفلسفته فى صورة مستساغة مفهومة . وإذا كان حنين بن اسحق قد استطاع عن طريق مترجماته وملخصاته أن يجعل جالينوس سيد الطب المطلق فى العصور الوسطى ، فإن الفارابى قد استطاع أن يقيم سيطرة أرسطو النهائية فى ميدان الفلسفة .

وإلى جانب هذا كله كتب الفارابى فى نواح عدة مختلفة ككل أصحاب المعارف الواسعة فى عصره . فكتب فى الأخلاق ، والسياسات ، والدين ، والتربية ، والتربية العسكرية ، والرياضيات ، والبصريات ، والطبيعيات . والصنعة ، والموسيقى ، والتاريخ ، وتقسيم العلوم . وقد تعلم الفارابى (كما نص ابن أبى أصيبعة جـ ٢ ص ١٣٤ س ٦) الطب ؛ ولكنه لم يمارسه (ولم يباشر أعمالها ولا حاول جزئياتها ، أى الطب ، كما يقول ابن أبى أصيبعة) وقد أهمل ذكره تماماً فى كتابه « إحصاء العلوم »[2] . وهو كتاب يتحدث فى خمسة الفصول التى يشتمل عليها ، عن النحو والمنطق والرياضيات والالهيات والطبيعيات والأخلاق والقانون . ومع أن الفارابى كان من بين هؤلاء

---

(١) مذكورة فى كتاب اشتينشنيدر من ص ٢١٤ إلى ٢٢٠ .

(٢) «إحصاء العلوم» ، طبع منذ تسع سنوات المرة الأولى فى نصه العربى فى مجلة سورية صغيرة هى مجلة العرفان (صيدا جـ ٦ [سنة ١٩٢٠ — سنة ١٩٢١] ص ١١ — ٢٠ ، ١٣٠ — ١٤٣ ، ٢٤١ — ٢٥٧) راجع بويج « حول إحصاء العلوم للفارابى » فى أعمال جامعة القديس يوسف ببيروت المجلد التاسع (سنة ١٩٢٣) ص ٤٩ إلى ص ٦٩ ، ل . باور « جندسالينوس ، تقسيم الفلسفة » L. Baur, *Gundisalinus, de Divisone Philosophiae*. Beiträge z. Gesch. d. Phil. d. Mittel. IV (Münster 1903) الكراسة ٢ — ٣ ، وقد ترجم فيدمان فى (Erlangen. 1897) *Beiträge XI* مقدمة الكتاب والفصل الخاص بالطبيعيات عن اللاتينية .

العلماء الذين تجنبوا الخوض فيما كان موضع خلاف من المسائل الدينية ، فإنه يبدو كما يقول جولد تسيهر[١] أنه كان متهماً لدى أهل السنة ، حتى إنه كان يود أن يبرر اشتغاله بعلوم الأوائل عن طريق أحاديث للنبي ؛ لأنه كتب كتاباً لم يبق لدينا منه إلا عنوانه (ابن أبى أصيبعة جـ ٢ ص ١٣٩ س ١٥) وهو « كلام جمعه من أقاويل النبي صلى الله عليه وسلم يشير فيه إلى صناعة المنطق » .

ولم يترك الفارابى تلاميذ مباشرين كثيرين . ولكن هؤلاء القليلين الذين تركهم كونوا من جانبهم مدرسة ، نشرت تعاليم أستاذها خصوصاً فى بلاد فارس ، وكان لكتبه أثر كبير بعد وفاته حتى إنها بقيت تقرأ كثيراً طوال عدة قرون فى مصر واسبانيا . وقد حث ابن ميمون صديقه صموئيل ابن طبون[٢] على قراءة كتب الفارابى بقوله : « وعلى العموم فإنى أنصح لك بألا تقرأ فى المنطق إلا كتب الحكيم أبى نصر الفارابى . لأن كل ما كتبه وخصوصاً كتاب مبادىء الموجودات أدق من الدقيق » . ويعتمد ابن سينا كثيراً على كتب الفارابى ، وبها تأثر اتجاهه كل التأثر . ومنذ الفارابى سارت الفلسفة الإسلامية نهائياً فى طريق ارسططالى وأفلاطونى محدث .

٨ — أبو زكريا يحيى بن عدى (المتوفى سنة ٣٦٤هـ = ٩٧٥م) كان تلميذاً كبيراً للفارابى ، وإليه انتهت رياسة أصحاب المنطق فى عصره ، ولعله أن يكون قد عد أشهر فيلسوف عربى نصرانى . وقد كتب عنه الكثير[٣] ، حتى إنه

---

(١) راجع تعليق ٧٣ ص ٢٤ من كتابه المذكور هنا ص ٧٣ تعليق رقم ٣ [راجعه فى أول الفصل الرابع من ترجمة هذا البحث فى القسم الخاص « بالدين والتراث » من هذا الكتاب] .

(٢) س. مونك « أمشاج من الفلسفة اليهودية » ، باريس سنة ١٨٥٧ ، ص ٣٤٤ أسفل
S. Munk, *Mélanges de philosophie juive et arabe*. Paris 1857.

(٣) الفهرست ص ٢٤٩ ، ابن القفطى من ٣٦١ — ص ٣٦٤ ؛ ابن أبى أصيبعة جـ ١ ص ٢٣٥ ؛ ابن العبرى ص ٣١٧ ؛ سوتر برقم ١٢٧ ؛ جراف : « الكتب العربية النصرانية » ؛ ستراسبورج سنة ١٩٠٠ ص ٤٦ إلى ص ٥١ ؛ و « الفلسفة ونظرية الله عند يحيى بن عدى » ، منستر سنة ١٩١٠ ؛ پريبه Perrier ، يحيى بن عدى ، فيلسوف عربى نصرانى من القرن العاشر » ، باريس سنة ١٩٢٠ (بالفرنسية) .

لا بد وأن نخوض فى الكلام عن حياته ومؤلفاته . كان نصرانياً يعقوبياً من تكريت (على الدجلة فى شمال العراق) وقرأ على أبى بشر متى ، وعلى أبى نصر الفارابى ، وأصبح من بعد مترجماً ، ومؤلفاً خصباً كل الخصوبة بدرجة غير عادية . وكانت له مكتبة خاصة فهرسها معروف[1] . وتراجمه من السريانية إلى العربية تشمل أولا المقولات ، والطوبيقا ، والتحاليل ، والشعر ، والسوفسطيقا لأرسطوطاليس ؛ وكذلك النواميس ، وطيماوس لأفلاطون ؛ والآثار العلوية لثاوفرسطس ؛ وشروحاً للإسكندر الأفروديسى وأمونيوس[2] . وكان ابن النديم ، بوصفه كتبياً ، ربما وبوصفه تلميذاً أيضاً ، على صلة وثيقة بيحيي . وقد رأى الكثير من تراجمه ، وبعضها إصلاح لترجمات إسحق بن حنين وغيره من العلماء السابقين ، مكتوبة بخط يده (الفهرست ص ٢٤٦) . وإلى جانب هذا كتب يحيي نفسه حوالى خمسين كتاباً بالعربية   المنطق والأخلاق[3] .

وإذا ألقينا نظرة على ثَبَت كتبه هذا لا يدهشنا ما يدل عليه العنوان من الاختلاف عن طابع تلك الفلسفة الأرسططالية — الأفلاطونية المحدثة ، وهى الفلسفة السائدة لدى جميع الفلاسفة فى الشرق الأدنى منذ العصر الإسكندرانى المتأخر . ومع ذلك فإن المسعودى فى كتاب « التنبيه » (ص ١٢٢ ؛ راجع قبل ، ص ٦٤) يؤكد لنا أن يحيي بن عدى تخرج فى مدرسة محمد بن زكريا الرازى الطبيب ، وهى مدرسة فيثاغورية محدثة ، وعنه أخذ مذهبه . ولما كان المسعودى على صلة وثيقة بيحيي ، وممن عنوا بشتى المسائل

---

(١) برمشترك : « أرسطو عند السريان » ج ١ (ليبتسك سنة ١٩٢٠) ص ٥٥ .

(٢) راجع جراف : « الفلسفة ونظرية الله عند يحيى بن عدى » ص ٢ إلى ٣ .

(٣) ثبتها موجود ، تبعاً للقفطى ، فى كتابه « تهذيب الأخلاق » الذى طبعه عوض فى القاهرة سنة ١٩١٣ . وهذا المطبوع النادر أعطانيه صديق توفيق أفندى اسكاروس سكرتير دار الكتب المصرية . راجع الثبت أيضاً فى كتاب پرييه وحكمه على كتاب الأخلاق ص ١١٩ وما بعدها . ثم تكاتش ص ١٢٢ . [نشرنا له شرحه على « السماع الطبيعى » لأرسطوطاليس فى كتابنا : أرسطوطاليس : « الطبيعة » شرح ابن السمح ويحيى بن عدى وأبى بشر متى وأبى الفرج بن الطيب . فى جزئين ، القاهرة سنة ١٩٦٤ — وكذلك ترجمته للسوفسطيقا ، فى « منطق أرسطو » ج ٣ ، القاهرة سنة ١٩٥٢] .

الدينية والفلسفية ، فيجب علينا ألا نرفض توكيده بسهولة . ورأىُ المسعودى يجد له ما يؤيده فى أن أبا سليمان السجستانى المنطقى السالف الذكر ، وكان صديقاً وتلميذاً ليحيى ، تعجب (ابن أبى أصيبعة ج ١ ص ٩ س ١٠ وما يليه) من أن أستاذه كان يقدر الفلسفة الهندية ويجلها كل الإجلال . قال أبو سليمان ما نصه : « قال لى ابن عدى إن الهند لهم علوم جليلة من علوم الفلسفة ، وأنه وقع إليه أن العلم من ثَمّ وصل إلى اليونانيين ... ولست أدرى من أين وقع له ذلك ! » . والمسعودى يقول عن الرازى الطبيب فى موضع آخر (« التنبيه » ص ١٦٢ س ١٣ وما يليه) إن الرازى كتب سنة ٣١٠ هـ (= ٩٢٢ م) — أى قبل وفاته بثلاث سنوات[١] — كتاباً فى ثلاث مقالات عن الفلسفة الفيثاغورية ، لم يذكرها فهرست كتب الرازى الباقى لدينا حتى الآن . وقد شرح دى بور فى اختصار ووضوح (٦٩ إلى ص ٧٦)[٢] ماذا كان يفهم حينئذ من الفلسفة الفيثاغورية ، وكيف كانت آراء الرازى عنها فى ردوده . ولعل الرازى قد أخذ الميل إلى هذا الاتجاه الفلسفى عن تلميذ للكندى هو أبو زيد أحمد البلخى (المتوفى سنة ٣٢٢ هـ = ٩٣٤ م) . وكان من شرقى فارس . وقام بالكثير من الرحلات ، حتى قيل عنه إنه سافر إلى بلاد الهند . وكانت له نزعة فيثاغورية محدثة كما يمكن استخلاص ذلك على الرغم من أن كتبه قد ضاعت كلها تقريباً[٣] . فلعل البلخى كان

[illegible] الآ[illegible] عرفنا حديثاً تاريخ وفاة الرازى بالدقة (٥ شعبان سنة ٣١٣ هـ [illegible] . مخطوط [illegible] بليدن

المصدر الذى استقى منه الرازى آراءه الفيثاغورية المحدثة . غير أنا لا نعرف كيف أثر هذا الأخير فى يحيى بن عدى ، لأنا لا نعلم شيئاً عن اتصال هذين العالمين اتصالا شخصيا . والرازى لم يقم ببغداد إلا مدة قصيرة ، وقضى العشرات الأخيرة من سنى حياته فى الرى (اليوم طهران) ، مدينة آبائه ، ومن أجل هذا فمن الممكن أن يكون يحيى بن عدى قد استقى من مؤلفات الرازى ، وأنه أبدى آراءه الفيثاغورية إلى تلاميذه شفويا فحسب ، لأن كتبه التى ألفها ، كما لاحظنا من قبل ، مطبوعة بطابع المذهب الأرسطالى فى صورته النقية تقريبا . وهذا أيضاً رأى پريبه فى دراسته العميقة لكتب يحيى ابن عدى (الكتاب المذكور ، ص ٢١٧ وما يليها) .

وهنا فى منتصف القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ينتهى حديث الروايات التى أوردها المؤرخون للعلوم الإسلامية عن استمرار مدرسة الإسكندرية الفلسفية المباشر فى العهد الإسلامى وتحت حكم الإسلام ولم يكن اتفاقا أن كانت معلوماتنا عن هذه الفترة كأحسن ما تكون . ثم إنه على يد الفارابى نمت الفلسفة الإسلامية الأرسطالية نمواً كاملا ، « ووضع تلميذه يحيى بن عدى الأساس لفلسفة مسيحية فى الشرق ، كانت فى تطورها وعمرها متأخرة كل التأخر عن أختها فى الغرب » (جراف) . وقد انتفع النصارى كثيراً بالفلسفة الأرسطالية فى تكوين فكرة الألوهية فى دينهم . ومن هنا نشأت حركة بلغت نهاية معلومة ، قد امتدت من يحيى النحوى وسارت [illegible] منذ القرن السادس حتى القرن العاشر .

قام فى وجه الفلاسفة والمعتزلة خصم خطير هو مدرسة الأشعرى (المتوفى سنة ٣٢٤ هـ = سنة ٩٣٥ م) المتكلم المشهور . فقد استطاعت هذه المدرسة أن تستخدم منطق الفلاسفة وعلومهم فى الدفاع عن السنة وتأييدها .

وقد استمرت الحركة الفلسفية الصرفة فى بغداد بعد الفارابى وتلاميذه . إلا أنها لم تجد لها بعد المسعودى وابن النديم مؤرخين مهمين كهؤلاء ، حتى إنه ليس فى مقدورنا أن نتتبع سيرها حتى القرن الخامس (الحادى عشر الميلادى) إلا فى سلسلة من التراجم الشخصية المفردة . وهانحن أولاء نقوم بهذا الآن .

فيلاحظ أولا أنه بقى علينا أن نذكر بعض معاصرى يحيى بن عدى وتلاميذه :

٩ — أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى . العالم المسلم الذى أوردنا ذكره كثيراً (توفى سنة ٣٤٦ هـ = سنة ٩٥٧ م) : ظلمه المؤرخون : فالفهرست (ص ١٥٤) لا يتحدث عنه إلا فى قرابة خمسة أسطر ، وياقوت (جـ ٢ ص ١٤٧ إلى ص ١٤٩) كرس له صفحتين فحسب ، دون أن يعطى تفاصيل عن تابخ حياته . وقد قال كَتْرِمير[1] بحق إنه كان أجدر بالمؤرخين والجغرافيين العرب المتأخرين أن يتخذوا المسعودى دليلا لهم فى تاريخ الأديان والعلوم ، من أن يتخذوا هؤلاء المؤرخين الرواة العديدين الجهلة العاجزين عن التمحيص والنقد ، الذين استقوا منهم موادهم التاريخية والإخبارية أغلب ما استقوا . ومن الأخبار الواردة فى كتبه هو نستخلص أن المسعودى قد ارتحل إلى بلاد عديدة من مصر إلى بلاد الهند ، ومن بحر الخزر حتى مدغشقر . وفى كل مكان يدرس أخلاق الشعوب التى زارها ، وآراءهم ، ومذاهبهم ، يحدوه إلى ذلك حب للاستطلاع علمى . وعدم تعصبه لرأى من الآراء

= المراجع عن الإسلام » ص ٣٤٨ إلى ص ٢٠٦ O. Pfannmüller, *Handbuck der Islam-Literatur*, Berlin 1923 . وراجع أيضاً أوليرى من ص ١٢٣ إلى ص ١٨٠ .

(١) تعليق على حياة المسعودى وكتبه ، فى المجلة الأسيوية سنة ١٨٩٣ ، السلسلة ... Tallet

أو مذهب من المذاهب معروف مشهور ، مما جعله على اتصال بالعلماء من كل مذهب أو نحلة[1] . ولسنا نعرف شيئاً عن نشأته الفلسفية ، ولكنه كان على صلة دائمة بفلاسفة مدرسة بغداد . إلا أنه لم يبق من كتبه العشرين تقريباً وباللأسف إلا كتاب « التنبيه والإشراف » المذكور هنا كثيراً ، وكتابه الكبير « مروج الذهب » وجزء من كتابه « أخبار الزمان » . وهي كتب مملوءة بالأخبار التاريخية ، والجغرافية ، وبأخبار الملل والنحل . وضياع كتبه الأخرى خسارة بالنسبة لتاريخ العلوم في ابتدائها عند العرب لا يمكن تعويضها .

١٠ — ولم يكن حظ أبي الفرج محمد بن إسحق الملقب بابن أبي يعقوب النديم أحسن من حظ المسعودي . كان عالماً مشهوراً انتهى من تأليف كتابه « الفهرست » في سنة ٣٧٧ هـ = سنة ٩٨٧ م . لم يذكره ياقوت (جـ ٤ ص ١٠٨) إلا في خمسة أسطر ، وهو الذي ترك لنا أخباراً قيمة عن مئات العلماء ، كان كتبياً مسلماً شيعياً ، وكان كما يقول هو عن نفسه على صلة بكثير من علماء عصره ، فأطلع على مكاتبهم وكتبهم ، وجرت بينهم وبينه محادثات فلسفية . فهو يذكر مثلا ابن الخمار وعلى بن عيسى من بين هؤلاء الذين كان يعنى بمناظرتهم . ولسنا نعلم أي دور لعبه في الوسط العلمي البغدادي ؛ لكننا نستطيع أن نتصور أن حانوت هذا الكتبي الذي قرأ كثيراً بدرجة غير عادية ، كانت له قدرة كبيرة على اجتذاب العلماء إليه ، كما يستطيع المرء أن يلاحظ ذلك حتى في أيامنا هذه في كثير من حوانيت الكتبيين الساذجة في الشرق .

١١ — وكان أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني المنطقي (المتوفى بعد سنة ٣٩١ هـ = سنة ١٠٠١ م) ثالث فيلسوف مسلم في القرن الرابع (العاشر الميلادي) إلى جانب الاثنين المذكورين تحت رقمي ٩ و ١٠

---

(١) راجع أقواله عن العلماء اليهود في عصره : سعديا وداود القومسي وغيرهما . (التنبيه ص ١١٣ وما يليها ؛ الترجمة الفرنسية ص ١٥٩) . وراجع أيضاً بروكلمن جـ ١ من ص ١٤٣ إلى ص ١٤٥ .

ترك تاريخاً للعلماء هو كتاب « صوان الحكمة » مع تتمة وإتمام . وقد فقد أصل هذا الكتاب ويالأسف[1] ولكن توجد منه مقتطفات أخذها ظهير الدين البيهقي العالم الفارسي (المتوفى سنة ٥٧٠ ﻫ = ١١٧٥ م) موجودة منها أجزاء في مكاتب استامبول وأكسفورد وبرلين . ولما كان مارتن بلسنر على وشك إخراج بحث كبير عن أبي سليمان ومدرسته ، فأرى أن أحيل إليه ، لأن هذا الفيلسوف لم يكتب عنه المؤرخون إلا الشيء القليل (الفهرست ص ٢٦٤ مخطوطة ظهير الدين ورقة ٤٤ ب ، ٤٥ ا ؛ ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣٢١ وما يليها) اللهم إلا ابن القفطي (ص ٢٨٢ وما يليها) فإنه كتب عنه في شيء من التفصيل . فيذكر أن عضد الدولة فناخسرو شاهنشاه كان يكرمه ويفخمه . وكان عضد الدولة سيد بغداد الحقيقي منذ سنة ٣٦٧ حتى ٣٧٢ (سنة ٩٧٨ إلى سنة ٩٨٣) بدلا من الخليفة الذي لم يكن له حينئذ حول ولا قوة . ولو أنه لا يذكر صراحة أن أبا سليمان كان رئيس مناطقة بغداد ، فإنه كانت له هذه المكانة في الواقع ، لأن علماء عصره كانوا يجتمعون حوله لمناظرته . ويقول ابن القفطي أيضاً (ص ٢٨٢ س ١٨) إن « منزله [كان] مقيلا لأهل العلوم القديمة » . وقد جمع أبو حيان التوحيدي المذكور من بعد تحت رقم ١٥ في كتابه « المقابسات » أحاديث مجالس هذا الفيلسوف وكما يرى دي بور (من ص ١١٤ إلى ص ١١٦[2]) لا تكشف هذه الأحاديث عن منطق الفارابي الدقيق . وإنما هي تدور حول تلاعب عقلي بالألفاظ ، فمثلا يذكر فيها أن المعرفة الفلسفية غاية النفس الإنسانية ، والإيمان الديني حياة النفس وسبيلها إلى غايتها .

وابن أبي أصيبعة (ج ٢ ص ٤٠) هو المصدر الوحيد الذي يذكر اسم

---

(١) يسمى ابن أبي أصيبعة (ج ١ ص ٣٢٣) هذا الكتاب « تعاليق حكمية » . وفي الهند عزم على طبع كتاب البيهقي بحسب المخطوطات التي وجدت حديثاً .

(٢) [من ص ١٥٥ إلى ص ١٥٧ من الترجمة العربية] .

تلميذ لأبى سليمان هو محمد بن عبدون الفيلسوف الطبيب الأندلسى المفرد، الذى أقام فى الشرق ١٣ سنة للدرس .

١٢ — عيسى بن على ، الابن الثانى لعلى بن عيسى بن داود بن الجراح (توفى سنة ٣٩١ هـ = سنة ١٠٠١ م) الوزير المشهور . كان مسلماً طبعاً ، وتلميذاً وصديقاً ليحيى بن عدى ؛ وتعلم المنطق والحديث ، وليس لدينا عنه فى كتب التاريخ إلا معلومات يسيرة[1] . وقد رأى ابن القفطى (ص ٣٩ س ١٧) بعد قرنين من وفاة عيسى نسخة من السماع الطبيعى شرح يحيى النحوى ، وهى فى عشرة مجلدات كبار وعليها حواش لعيسى بن على .

١٣ — أبو الخير الحسن بن سوار بن بابا بن بهرام المعروف بابن الخمار[2] أحد تلاميذ يحيى بن عدى الصغار ، لأنه ولد سنة ٣٣١ هـ = سنة ٩٤٢ م . كان فى الأصل نصرانياً كما يمكن افتراض ذلك من لقبه « الخمار » (أى ابن بائع الخمر[3]) وتاريخ وفاته غير معروف . وكان فيلسوفا وطبيبا ويقال عنه إنه ترجم كتب إلينوس (؟) الاسكندرانى المنطقية ، والأخلاق والآثار العلوية وغيرها من كتب أرسطو من السريانية إلى العربية ، ولخص كتبا فلسفية أخرى وشرحها . وقد ألف هو نفسه كتبا فلسفية وطبيعية وطبية ، لم يبق منها شىء . وقد أوردنا من قبل (ص ٤٦) حكمه القاسى على جوامع جالينوس الإسكندرانية . ويقول ظهير الدين[4] عن حياته إنه دعى من بغداد

---

(١) ابن القفطى ص ٢٤٤ . وكذلك بوون : « حياة على بن عيسى وعصره »
H. Bowen, *The Life and Times of 'Ali b. 'Isa "the Good Vizier"*. Cambridge 1928, pp. 47, 78, 397 f.

(٢) الفهرست ص ٢٦٥ ؛ ابن القفطى ص ١٦٤ ؛ ابن أبى أصيبعة ، ج ١ ص ٣٢٢ ؛ سوتر ، رقم ١٧٢ .

(٣) [نبهنا الأستاذ محمود الخضيرى إلى موضع فى « تتمة صوان الحكمة » لظهير الدين البيهقى فيه تفسير لهذه النسبة هكذا : « وقد أعطى السلطان محمود الحكيم أبا الخير ناحية يقال لها خمار ، وينسب أبو الخير إلى تلك الناحية ، وقيل له أبو الخير خمار تمييزاً بينه وبين أبى الخير صاحب البريد بقصدار ، وقد سها من قال هو « أبو الخير الخمار » ، ص ١٣ طبع لاهور سنة ١٣٥١ هـ » . [وراجع أيضاً تعليقات قزوينى على « چهار مقاله » ص ٧٦] .

(٤) مخطوطة ظهير الدين فى برلين ، الورقة ٧ ب إلى ٩ ا ، ليدن الورقة ٧٣ ا وأنا مدين بنسخ هذا الموضع الأخير للدكتور فان آرندونك .

إلى خوارزم فى قصر أميرها — لعله خوارزمشاه المأمون — وبعد أن فتح محمود بن سبكتكين هذه البلاد أى سنة ٤٠٧ هـ (= سنة ١٠١٧) دعاه محمود بن سبكتكين إلى قصره فى غزنه (بأفغانستان الآن) . وهناك أسلم وهو فى سن متقدمة ، بعد أن رأى حلماً فى المنام . وقد صادف نجاحاً كبيراً كطبيب ، ومن أجل هذا سمى « بقراط الثانى » . راجع فيما يختص بتلميذه ابن هندو ، ص ٩٥ .

١٤ — أبو على عيسى بن إسحق بن زرعة (من سنة ٣٣١ هـ = سنة ٢٩٤ م إلى سنة ٣٩٨ هـ = سنة ١٠٠٨ م) كان نصرانياً يعقوبياً . وكانت سنه كسن ابن الخمار . لا يذكر عنه صراحة أنه كان تلميذ يحيى بن عدى ، إنما يقال عنه إنه كان كثير الصحبة والملازمة له[1] . ولكن نظراً إلى الفارق الكبير فى السن بينهما لا بد أن تكون علاقته به علاقة التلميذ . وكتبه كلها من نوع كتب المدرسة الأرسططالية الأفلاطونية المحدثة ببغداد : ترجمات لكتاب الحيوان ، وللسوفسطيقا ، ولبعض شروح أرسطو ، ولكتاب نيقولاوس الدمشقى فى فلسفة أرسطوطاليس . وألف كتباً فى الفلسفة والطبيعيات والمناظرات الدينية ، حاول فيها أن يؤيد حقائق الدين المسيحى ببراهين فلسفية عقلية . وقد طبع سباط أربعاً من هذه المقالات منذ زمن قليل اعتماداً على مخطوطات اقتنيت حديثاً[2] ، ويورد ظهير الدين (فى الكتاب المذكور) بعض أقوال ابن زرعة فى الدفاع عن علم المنطق .

١٥ — أبو حيان على بن محمد بن العباس التوحيدى (المتوفى بعد سنة ٤٠٠ هـ = ١٠١٠ م) ، فارسى مسلم معتزلى ، يمكن عده من بين تلاميذ يحيى ابن عدى وأبى سليمان السجستانى . وكان أديبا ونحويا وفقيها متكلما أكثر

---

(١) الفهرست ص ٢٦٤ ؛ ابن القفطى ص ٢٤٥ ، ياقوت جـ ٥ ص ٤٩٤ إلى ص ٥٠٦ ؛ ظهير الدين ، الورقة ٣٩ ب إلى الورقة ٤٢ ب ، سوتر برقم ١٧٩ ؛ وابن أبى أصيبعة (جـ ١ ص ٢٣٥) يذكر تاريخ حياته هكذا ٣٧١ — ٤٤٨ وهذا غير ممكن .

(٢) « عشرون مقالة فلسفية وجدلية لمؤلفين من العرب النصارى » ، القاهرة سنة ١٩٢٩ رقم ١ — ٤ ص ٦ — ٧٥ .

منه فيلسوفاً . ولم يكن له تلاميذ فى الفلسفة . وقد عرض ياقوت[1] حياته التفصيل ، وهى حياة جمعت بين شمس العزة وظلال الذلة عند مختلف أمراء فارس والعراق . والغالبية العظمى من كتبه فقدت ولا تعرف إلا عن طريق المقتطفات منها ، ولكن بقى لنا مع ذلك كتاب مهم هو كتاب « المقابسات »[2] وهو يحتوى على ١٠٦ مقابسة أو محاورة بين العلماء تدور حول التعاريف الفلسفية والطبيعيات والمنطق والإلهيات وموضوعات أخرى . وكما لاحظنا من قبل (ص ٨٦) ليس لهذه المحاورات التى كتب المؤلف بعضها من عنده ، قيمة كبيرة . فهى موضوعة فى قالب أدبى ؛ والمُلح تسودها إلى جانب التلاعب بالألفاظ . ولكن المهم هو الوسط العلمى الذى يدخلنا أبو حيان فيه : فجماعات من العلماء تجتمع غالباً حول أبى سليمان السجستانى فى بيته أو تتقابل وفى الورّاقين ، فى سوق أمام باب البصرة فى بغداد ، حيث يوجد أكثر من مائة ورّاق بحوانيتهم[3] . وكانت الجماعة مكونة من أناس مختلفى المشارب والنحل : فكانت تجمع بين المسلمين المختلفى المذاهب ، والنصارى ، والصابئة والعلماء الذين رحلوا إلى بغداد : من الأندلس فى الغرب ، ومن بخارى فى الشرق ومن شيراز فى الجنوب ، ومن حدود الإمبراطورية البيزنطية فى الشمال ، لكى يحصّلوا العلوم فى قلب الإمبراطورية الإسلامية ، وإلى جانب الفلاسفة نجد الرياضيين والفلكيين والأطباء والمؤرخين والمتكلمين والشعراء وغيرهم من

---

(١) معجم الأدباء ج ١٥ ص ٣٨٠ إلى ص ٤٠٧ . وهناك مراجع أكثر مذكورة فى مادة « أبو حيان » (لمرجليوث) فى دائرة المعارف الإسلامية الجزء الأول .

(٢) دى بور ص ١١٤ — ص ١١٦ . [من ص ١٥٥ إلى ص ١٥٧ من الترجمة العربية] وقد طبعت بالهند طبع حجر (فى بومباى سنة ١٣٠٦ هـ — سنة ١٣٠٧ هـ) ونفدت من زمن بعيد ، ولكنها طبعت من جديد فى القاهرة (سنة ١٩٣٠) ، طبعها حسن السندوبى وقدم لها بمقدمة ، وعمل لها فهارس . [وطبعت له حديثاً لجنة التأليف والترجمة والنشر كتاب « الإمتاع والمؤانسة » سنة ١٩٣٩ فى ثلاثة أجزاء ونشرنا له « الإشارات الإلهية » سنة ١٩٥٠ ؛ كما طبع له : « ثلاث رسائل » فى دمشق سنة ١٩٥٢ ، و « مثالب الوزيرين » ، دمشق سنة ١٩٦١] .

(٣) وربما كان هناك أيضاً حانوت ابن النديم (راجع ص ٨٥) . ومنذ زمن قليل كان يوجد حى الكتبية كهذا فى القاهرة .

الأدباء . وإنا لنعرف أيضاً أن أبا سليمان قرأ مرة تراجم لكتب أمبادقليس (المنحولة) ؛ وأن أبا حيان قرأ معه كتاب النفس لأرسطو ، وأن المؤلف استمع إلى محاضرة للأستاذ الشيخ يحيى بن عدى فى بيت البديعى الشاعر سنة ٣٦١ = سنة ٩٧٢ م .

١٦ — أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب المشهور باسم (ابن) مسكويه[١] (توفى سنة ٤٢١ هـ = ١٠٣٠ م) فارسى مسلم . نذكره هنا آخر من نذكر ، لأنه كان قريباً من دائرة فلاسفة بغداد ، ولو أنه لم يكن صراحة تلميذاً لواحد منهم[٢] . وقد اشتهر مؤرخاً على الخصوص . ولكنه كان إلى جانب هذا طبيباً وفيلسوفاً ، ومن رجال الصنعة . وكان كاتباً وأمين مكتبة لكثير من الوزراء . ويسرد ابن القفطى (ص ٣٣١ وما يليها) أسماء كتبه الطبية . ويذكر ياقوت من بين ما يذكر عنه أنه كانت بينه وبين أبى حيان التوحيدى مراسلات ، وأنه أعطاه نسخة من شرح أبى القاسم بن عبّاد على إيساغوجى وقاطيغورياس . وقد ألف مسكويه عدا كتابه المشهور فى التاريخ المسمى « تجارب الأمم » ، وعدا الكتب الطبية المذكورة آنفاً ، عدة مقالات فى الأخلاق لا زال أحدها وهو « تهذيب الأخلاق » يقرأ كثيراً حتى اليوم ويطبع من جديد (آخر طبعة فى القاهرة سنة ١٣٢٩ = سنة ١٩١١) ويرى دى بور (ص ١١٦)[٣] أن فلسفة مسكويه وسط تقريباً بين فلسفة الكندى وفلسفة الفارابى .

وفيما يتعلق بابن عباد يُلاحظ أنه كان فيلسوفاً ، وكان أحياناً فى خدمة رجل الدولة الفيلسوف أبى الحسن محمد بن يوسف العامرى . وكان على صلة بأبى سليمان وابن الخمّار . إلا أنه لا يمكن أن ينسب نسبة صحيحة تامة إلى دائرة بغداد ، لأنه كان فى سن مبكرة جدا كاتباً للدولة ووزيراً ، وقضى معظم

---

(١) [راجع فى وصفه : التوحيدى « الإمتاع والمؤانسة » ج ١ ص ١٣٦ طبع مصر سنة ١٩٣٩] .

(٢) حياته ومؤلفاته موجودة فى دائرة المعارف الإسلامية ج ٢ ص ٤٢٩ وما بعدها

(٣) [ص ١٥٨ من الترجمة العربية] .

حياته فى فارس (دائرة المعارف الإسلامية ، مادة « ابن عباد » لتسترشتين) .

وبهذا ينتهى ثبت تلاميذ يحيى بن عدى ومعاصريه المشهورين وأتباعه المباشرين . وقبل أن نخوض فى الكلام عن التلاميذ الفلاسفة الذين تتلمذوا لهؤلاء العلماء ، يجب علينا أن نلقى نظرة على مواطن الأطباء التى كانت منفصلة عن مواطن الفلاسفة ، ولو أن الأطباء دون استثناء كانوا يعنون بدراسة الفلسفة ، وكان كثير من الفلاسفة يدرسون الطب . وإن تاريخا موجزاً للبيمارستانات فى العالم الإسلامى[1] مأخوذاً عن المصادر العربية ليسهل علينا كثيراً هذه النظرة .

بعد أن أنشأ هارون الرشيد فى نهاية القرن الثانى (الثامن الميلادى) بيمارستانا فى بغداد لا نعرف شيئاً عن مصيره فيما بعد ، مضى قرن بأكمله قبل أن يسمع المرء عن إنشاء مثل هذه المؤسسة فى العاصمة (بغداد) من جديد . هذا البيمارستان الثانى أنشأه بدر ، مولى الخليفة المعتضد ، وقائد جيشه . ومن الجدير بالملاحظة أنا لا نعرف شيئاً عن تأسيس بيمارستان فى بغداد فى القرن الثالث كله (القرن التاسع الميلادى) وهو القرن الذى دعى فيه أطباء البيمارستانات المشهورون فى جنديسابور إلى قصر الخليفة ، ولعل السبب فى ذلك راجع إلى سر من رأى ، التى أصبحت المقام الثانى للخلفاء .

أما فى أول القرن الرابع (العاشر الميلادى) فقد نشطت حركة تأسيس البيمارستانات . ففى سنة ٣٠٢ هـ (= سنة ٩١٤ م) أنشأ الوزير على بن عيسى بيمارستانا أسندت رياسته إلى أبى عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقى ، أحد تلاميذ حنين المتأخرين . ثم إن سنان بن ثابت بن قرة الصابى جعل الوزير يعنى بإدارة بيمارستان بدر ، وأنشأ هو نفسه سنة ٣٠٦ = ٩١٨ م بيمارستانين باسم

---

(١) أحمد عيسى بك ، « تاريخ البيمارستانات فى العصر الإسلامى » . القاهرة سنة ١٩٢٨ وفى أعمال المؤتمر الدولى لطب المناطق الحارة ، القاهرة سنة ١٩٢٩ المجلد الثانى ص ٨٠ إلى ص ٢١٠ ، (بالفرنسية) . وكذلك راجع ا . متس ، « نهضة الإسلام » ص ٣٣٧ إلى ص ٣٥٨
A. Mez. *Die Renaissance des Islam*, Heidelberg 1922.

الخليفة المقتدر . ويظهر أن الرازى قد اشتغل فى أكبرهما مدة من الزمان أثناء مقامه ببغداد . وليس بمحتمل أن يكون الرازى هو الذى أنشأه ، لأنه كان قد استقر به المقام بمدينة الرى من قبل . وأنشأ ابن الفرات ، خصم على ابن عيسى السياسى ، فى أثناء إحدى وزاراته الثلاث بيمارستانا انتهت رياسته بعد موت منشئه (سنة ٣١٦ هـ = سنة ٩٢٤ م) إلى ثابت بن سنان بن ثابت ابن قرة . وأخيراً أنشأ أمير الأمراء التركى (أبو الحسين) قبل موته بقليل (٣٢٩ هـ = سنة ٩٤٠ م) بيمارستانا أسندت رياسته إلى الشيخ الهرم سنان ابن ثابت أيضاً ونحن نعرف هذا كله من ابنه ثابت .

وفى سنة ٣٦٨ هـ = ٩٧٨ م أسس عضد الدولة ، أقوى الأمراء فى عهده بيمارستانا مشهوراً جداً ، أسندت رياسته إلى ما لا يقل عن أربعة وعشرين طبيباً على التوالى . وفى كل هذه البيمارستانات التى ذكرناها كان المرضى من جميع الأجناس والأديان يعالجون مجانا . وكانت فى الآن نفسه معاهد لتعليم الطب وإتمام دراسة الأطباء المبتدئين . وأشهر أطباء البيمارستان العضدى جبرائيل بن عبيد الله ، أحد أبناء أسرة بختيشوع النصرانية المشهورة بالطب (راجع ص ٥٦) ، ثم ابن كشكرايا ، تلميذ سنان وكان سريانيا نصرانياً ، ثم نظيف القس وكان يونانياً وقسيساً ومترجماً للكتب اليونانية إلى العربية ، ثم هارون بن الصابى الذى يقول عنه ابن القفطى (ص ٣٣٨ س ١٤) « إنه كان مقدم الأطباء وساعورهم[1] فى البيمارستان العضدى » ثم ابراهيم بن بَكّس النصرانى المشهور ، وكان فى الوقت نفسه أستاذاً ومترجماً عن السريانية (ابن أبى أصيبعة ج ١ ص ٢٤٤ فى أعلى) وهناك طبيبان آخران هما عبد الرحيم بن المرزبان وابن مندَويْه ، وكانا مسلمين فارسيين ، دعاهما

---

(١) الكلمة السريانية « ساعورا » معناها رئيس (بروكلمن ، « قاموس سريانى » ص ٤٨٨) . ومنها أخذت الكلمة العربية « ساعور » التى تطلق خاصة على رئيس الأطباء النصارى (لين ، « قاموس عربى إنجليزى » ج ٤ ص ١٣٦٤) .

عضد الدولة من أصفهان إلى بيمارستانه فى بغداد . ومن هذه القائمة وحدها يظهر لنا بوضوح مقدار عدم التعصب فى ذلك العصر فى المسائل العلمية . ولم يكن قد وجد بعد أطباء يهود فى بغداد ، وإلا وجدنا أسماءهم بالتأكيد بين أسماء زملائهم . وكان البيمارستان العضدى لا يزال قائماً على قدم وساق حينما زار ابن جبير الرحالة الأندلسى المغربى بغداد سنة ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م[1] ويظهر أنه لم يقع طعمة للخراب إلا عند غزو المغول لمدينة الخلفاء سنة ٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م ، بعد أن أخرج فى القرون السالفة طائفة كبيرة من مشاهير الأطباء ، حيث كان لهم موطناً للتعلم والعمل .

وإلى جانب هذا كله كان بعض الأطباء الخصوصيين يقومون أحياناً بتعليم الطب طبعاً . إلا أن هذا التعليم كانت تغلب عليه الناحية العملية . وعلى هذا النحو أعطى على بن سهل الطبرى المذكور آنفاً (ص ٦٠) للرازى العظيم دروساً فى الطب (ابن القفطى ص ٢٣١ س ١٠ وما يليه ، ابن أبى أصيبعة جـ ١ ص ٣٠٩ س ٢٠ وما يليه) . وكان أستاذ على بن العباس المجوسى الفارسى ، مؤلف كتاب « الملكى » (أى كتاب الملوك) ، تبعاً لما يرويه ابن أبى أصيبعة (جـ ١ ص ٢٣٦ أسفل — ص ٢٣٧ فى أعلى) ، أبا ماهر موسى بن سيار ولسنا نعرف ويا للأسف إلا شيئاً تافهاً عن حياة كل من الأستاذ وتلميذه .

والآن فلنرجع إلى مدرسة الفلاسفة المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمدرسة الأطباء فى شخص الأستاذ الذى سنتحدث عنه الآن :

١٧ — أبو الفرج عبد الله بن الطيب[2] ، لا يعرف تاريخ حياته على وجه الدقة . كان نصرانياً نسطورياً ، وكان فى نفس الوقت كاتباً لجاثليق بغداد

---

(١) « رحلات ابن جبير » طبع ريت ، ليدن سنة ١٨٥٢ ص ٢٢٧ .

(٢) ابن القفطى ص ٣٣٩ وما يليها ، ابن أبى أصيبعة جـ ١ ص ٢٣٩ إلى ص ٢٤١ ، ظهير الدين ورقة ١٦ ب إلى ورقة ٢١ ب ، لكلير جـ ١ ص ٤٨٦ إلى ص ٤٨٨ ، بروكلمن جـ ١ ص ٤٨٢ . [وقد نشرنا له شرحه على المقالات الثلاث الأواخر من « السماع الطبيعى » ، القاهرة سنة ١٩٦٤] .

وطبيباً وأستاذاً للطب فى البيمارستان العضدى ، وكان فى الفلسفة التى مال إليها أكثر من غيرها ، تلميذاً لابن الخمار . وله قدرة فائقة على العمل . ومع ذلك فإنه ، كما يذكر تلميذه ابن بُطْلان ، ظل عشرين سنة يعمل شرحاً ضخماً لكتاب الإلهيات لأرسطو . ثم شرح أيضاً كل الأورغانون والخطابة والشعر والسوفسطيقا والحيوان وإيساغوجى لفورفوريوس . حتى أن الشهرستانى[1] يسميه بحق « أبا الفرج المفسر » . أما فى الطب فإن له تفسير كتاب أبيديميا لأبقراط ، وكتاب الفصول لأبقراط وكتب أخرى لأبقراط أيضاً ، ثم تفسير الستة عشر كتابا لجالينوس ، وقد عمل لها مختصراً كذلك . وإلى جانب هذا شرح « ثمار مسائل » حنين بن إسحق ، وألف هو نفسه كتباً فلسفية ، وطبية ، ولاهوتية ، ومقالات جدلية دافع فيها عن الدين المسيحى .

وكان على اتصال بأشهر معاصريه عن طريق المكاتبات ، ومن بينهم ابن سينا وابن الهيثم الرياضى الطبيعى العظيم ، الذى كان يعيش فى القاهرة آنذاك ، ويذكر ابن أبى أصيبعة (جـ ١ ص ٢٤٠ فى أسفل) من تلاميذه عشرة أهمهم ابن بطلان (وسنتحدث عنه بعد قليل) . ويذكر المؤلف نفسه أيضاً أسماء عشرة أطباء كانوا معاصرين وأصدقاء لعبد الله فى بغداد ، من بينهم على بن عيسى ، أشهر طبيب للعيون أنجبته العصور الوسطى كلها[2] .

وبعبد الله بن الطيب تتم سلسلة كبار أساتذة مدرسة بغداد . ولا يبقى أمامنا إلا بعض تلاميذ الرجال المذكورين سابقاً وكانوا أطباء وفلاسفة وتخرج على أيديهم تلاميذ أيضاً .

ولنذكر أول هؤلاء وهو أبو الحسن المختار بن الحسن النصرانى ، المعروف باسم ابن بطلان (توفى حوالى سنة ٤٦٠ هـ = ١٠٦٨ م)[3] . وكان

---

(١) كتاب الملل والنحل ، طبع بولاق سنة ١٢٦٣ جـ ٢ ص ٤٩ أسفل ، ترجمة هاربروكر ، هلة سنة ١٨٥١ جـ ٢ ص ٢١٣ فى أعلى .

(٢) هرشبرج ومتفوخ : على بن عيسى ، ليپتسك سنة ١٩٠٤ . Hirschberg und Mittwoch, *'Ali Ibn 'Isa Erinnerungsbuch für Augenärzte.*

(٣) راجع فيما يختص به مادة « ابن بطلان » فى دائرة المعارف الإسلامية جـ ٢ .

كما ذكرنا آنفاً أكبر تلاميذ ابن الطيب ، ضليعاً فى الفلسفة والطب . وله مناظرة[١] مشهورة مع معاصره القاهرى ابن رضوان الطبيب المصرى المسلم فى مسألة تعليم الطب . ومن بين كتبه الطبية ترجم أكبر كتبه : « تقويم الصحة » إلى اللاتينية الألمانية *Schachtaffeln der,* (Tacuinus Sanitatis) (*Gesundheit*, Strassburg 1531-32) وطبعت له بالعربية والفرنسية رسالة نقدية صغيرة اسمها « دعوة الأطباء »[٢] .

ولنذكر أيضا من تلاميذ ابن الخمّار : أبا الفرج على بن الحسين بن هندو (المتوفى سنة ١٤٠ هـ = سنة ١٠١٨ م) . كان فارسيا مسلما ولعله انحدر من أصلاب هندية . وكان طبيباً وفيلسوفا وشاعراً ، قضى معظم حياته لا فى بغداد ولكن فى قصور الأمراء الفرس ككاتب فيها[٣] . وقد ترك كتابين كبيرين هما « مفتاح الطب » ثم « المقالة المشوقة فى المدخل إلى علم الفلسفة » .

أبو سهل عيسى بن يحيى المسيحى : ولد فى شمال فارس وتوفى وعمره ٤٠ سنة عام ٤٠٠ هـ = ١٠١٠ م فحسب . ولكنه مع ذلك بلغ شهرة واسعة فى سن مبكرة[٤] . وكان كما يقول ظهير الدين « حكيما استولى عليه الطب » . وقد أتقن اللغة العربية الفصيحة أكثر من أى عالم مسيحى آخر قبله أو بعده ، بحسب رأى الأدباء المسلمين فيه . ويقال إن ابن سينا تتلمذ عليه . وكان

---

(١) [طبع هذه المناظرة حديثا الاستاذان يوسف شاخت ، وماكس مايرهوف صاحب هذا البحث بعنوان : خمس رسائل لابن بطلان البغدادى ولابن رضوان المصرى ، وتراجم المؤلفين ، صححها ونقلها إلى اللغة الإنجليزية وزاد عليها مقدمة وتعاليق ، يوسف شاخت وماكس مايرهوف . مطبوعات كلية الآداب ، القاهرة سنة ١٩٣٧] .

(٢) « دعوة الأطباء » ، طبع ب زلزل ، الاسكندرية سنة ١٩٠١ ثم محمود صدقى بك ، « مأدبة للاطباء » طبع بالقاهرة سنة ١٩٢٨ (بالفرنسية) .

(٣) ابن أبى أصيبعة جـ ١ ص٣٢٣؛ ياقوت جـ ٥ ص ١٦٨ إلى ص ١٧٣ ؛ ظهير الدين ، ورقة ٥٠ ب إلى ورقة ٥٢ ا .

(٤) ابن أبى أصيبعة جـ ١ ص ٣٢٧ إلى ص ٣٢٨ ؛ ظهير الدين ورقة ٥٢ ب إلى ورقة ٥٣ ا ؛ بروكلمن جـ ١ ص ٢٣٨ .

كتابه « المائة فى الطب » منتشراً جداً ، ولا يزال موجوداً حتى اليوم فى مكاتب كثيرة فى الشرق والغرب .

أبو الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين[١] : مسلم توفى سنة ٤٦٥ هـ = ١١٠٢ م وكان من بين أطباء البيمارستان العضدى حيث كان يلقى دروسا هناك . ولكنه كان أيضا فيلسوفا ، وقد ترك كتباً طبية وفلسفية . ومن بين كتبه الطبية كتاب « المغنى فى الطب » وهو أشهرها ، ولا يزال موجوداً حتى اليوم فى نسخ مخطوطة عديدة .

وأحسن تلاميذه يحيى بن عيسى بن على بن جَزْلة (أو ابن جُزْلة) المتوفى سنة ٤٩٣ هـ = سنة ١١٠٠[٢] . كان طبيبا وفيلسوفا وأديبا . وكلام ابن القفطى عن دراسة ابن جزلة كلام شائق (راجع ص ٣٦٥ س ١٥ وما بعده) هذا نصه : « كان رجلا نصرانيا ، طبيباً ببغداد ، قد قرأ الطب على نصارى الكرخ[٣] الذين كانوا فى زمانه ؛ وأراد قراءة المنطق فلم يكن فى النصارى المذكورين فى ذلك الوقت من يقوم بهذا الشأن . وذُكِر له أبو على ابن الوليد ، شيخ المعتزلة فى ذلك الأوان ، ووُصِف بأنه عالم بعلم الكلام ومعرفة الألفاظ المنطقية ، فلازمه لقراءة المنطق ، فلم يزل ابن الوليد يدعوه إلى الإسلام . ويشرح له الدلالات الواضحة ، ويبين البراهين حتى استجاب وأسلم » . ولما كان مسلماً استخدمه قاضى قضاة بغداد فى كتابة السجلات بين يديه — مما يدل على إتقانه التام للغة العربية — وبقى مع ذلك

---

(١) ابن أبى أصيبعة ج ١ ص ٢٥٤ إلى ص ٢٥٥ ، ص ٢٧٨ ؛ بروكلمن ج ١ ص ٤٨٥ .

(٢) ابن أبى أصيبعة ج ١ ص ٢٥٥ ؛ ابن القفطى ص ٣٢٥ وما بعدها ؛ بروكلمن ج ١ ص ٤٩٣ إلى ص ٤٩٧ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ج ٢ .

(٣) ضاحية كبيرة فى جنوب بغداد القديمة وكانت أغلبية سكانها من التجار . راجع مادة « الكرخ » فى دائرة المعارف الإسلامية (بقلم م . شترك) وكتاب لوسترانج : « بغداد فى عهد الخلافة العباسية » ، لندن سنة ١٩٢٤ من ص ٦٤ إلى ص ٨٤ G. Le Strange, *Baghdad during the Abbasid Caliphate* .

يشتغل بالطب ، وهناك كتابان من بين كتبه ألفهما للخليفة المقتدر وكانا يقرآن كثيراً ولا يزالان منتشرين حتى اليوم فى مخطوطات عديدة ، خصوصاً فى الشرق (بروكلمن ج ١ ص ٤٨٥) وهما كتاب « المنهاج » الذى أصلحه ابن البيطار فيما بعد ، وكتاب « تقويم الأبدان مُجَدْوَل »[١] .

وبه نود أن نختم ما قمنا به من عرض حتى الآن بعد أن وصلنا إلى الزمن الذى لم يعد يوجد فيه فى بغداد أستاذ مسيحى للمنطق ، ولا فيلسوف إسلامى . ذلك أن المعتزلة لم يكونوا مطلقاً فلاسفة ، وإنما كانوا رجال دين ذوى نزعة عقلية ومتكلمين ، لم يستخدموا المنطق إلا للدفاع عن الدين ، وكان أساتذة المنطق الحقيقيون من المسلمين ينظرون إليهم فى استخفاف[٢] . أما أنهم لايستحقون أيضاً لقب أحرار فى الفكر ، كما هو رأى جولدتسيهر[٣] ، فيدل عليه قصة إسلام ابن جزلة[٤] . ويذكر ظهير الدين والشهرستانى ، الذى كتب كتابه القيم عن « الملل والنحل » سنة ٥٢١ هـ = سنة ١١٢٧ م (راجع ص ٩٤ تعليق رقم ١) طائفة كبيرة من الفلاسفة البغداديين الذين اشتغلوا بالطب أيضاً ،

(١) لنذكر هنا تاريخ طبعة هذا الكتاب التى لم تتم لأنه تاريخ غير معروف فى أوربا إلا قليلا : أمر رشيد باشا ، ممثل الأمير العربى ابن الرشيد ، بطبع هذا الكتاب سنة ١٣٣٣ هـ = سنة ١٩١٥ م بدمشق فى صورة جميلة . ولكن لما سقط الأمير لم تكن لديه الوسيلة لإتمام هذا العمل فلم يتمه . ثم إنه لما ألقيت القنابل على دمشق سنة ١٩٢٥ احترقت المخطوطة .

(٢) ذكر ابن القفطى (ص ٤٠ س ١١ وما يليه) أن يحيى امتنع عن مناظرة المتكلمين فى مجلس بعض الوزراء . فسأله الوزير عن السبب فقال يحيى : « هم لا يفهمون قواعد عبارتى وأنا لا أفهم اصطلاحهم وأخاف أن يجرى لى معهم ما جرى للجبائى (المتوفى سنة ٣٠٣ هـ = سنة ٩١٥ م) فى كتاب « التصفح » ، فإنه نقض كلام أرسطوطاليس ، ورد عليه بمقدار ما تخيل له من فهمه ولم يكن عالما بالقواعد المنطقية ، فقد رد عليه وهو يظن أنه قد أتى بشىء ولو علمها لم يتعرض لذلك الرد » .

(٣) « محاضرات فى الإسلام » الطبعة الثانية سنة ١٩٢٥ ص ١١٤ *Vorlesungen über den Islam*

(٤) [يقول ابن خلكان فى ترجمته إن « سبب إسلامه أنه كان يقرأ على أبى الوليد المعتزلى ويلازمه . فلم يزل يدعوه إلى الإسلام ويذكر له الدلائل الواضحة حتى هداه الله تعالى وحسن إسلامه » (ج ٢ ص ٣٤٥ طبع بولاق سنة ١٢٩٩) . راجع فيما يختص به ابن خلكان فى الموضع المذكور ، ودائرة المعارف الإسلامية تحت مادة « ابن جزلة »] .

على تفاوت فى الدرجة ، وفى القرن الخامس (الحادى عشر الميلادى) . ولكننا لا نعرف عنهم جميعاً أى شىء تقريباً . ويظهر أنه لم يكن بينهم شخصية مهمة . كذلك لا نستطيع هنا أن نتحدث عن أثر مدرسة بغداد فى مدارس أخرى مثل جمعية إخوان الصفاء فى البصرة . وأكبر تأثير بالنسبة إلى الفلسفة الإسلامية والطب هو التأثير الذى أحدثه الفارابى ، ثم ترجمات حنين وتلامذته وخلفه وثابت لمؤلفات جالينوس ، فى ابن سينا الفارسى (المتوفى سنة ٤٢٨ هـ = ١٠٢٧ م) الذى كان نموذج الفيلسوف الطبيب « العربى » الكبير فى علمه . وقد أحرز شهرة واسعة جداً فى الشرق والغرب ، واستطاع أن يسود العصور الوسطى إلى جانب أرسطو وجالينوس .

وبعد موته بزمن غير طويل ولد أبو حامد الغزالى سنة ٤٥٠ هـ (= سنة ١٠٥٨ م) أكبر متكلم فى الإسلام . وهو الذى أسهم بأوفر نصيب فى كفاح رجال أهل السنة ضد دراسة الفلسفة وفى يده سلاح من شهرته العظيمة ومنطقه الجلى الواضح . ومن المؤكد أن انحطاط الفلسفة فى بغداد منذ القرن الخامس يرجع إلى حد كبير إلى تأثيره . ففرت الفلسفة إلى أقصى الغرب فى الأندلس ، حيث صادفت فى القرن التالى ازدهاراً جميلا وأثرت فى العصر المدرسى الأوربى تأثيراً كبيراً ، بفضل شخصيات كبيرة مثل ابن رشد وابن باجة ، فكانت عاملا من عوامل القيام بدور الوسيط فى الحضارة وهو الدور الذى قام به الإسلام فيما بين أوربا وآسيا[1] . وفى استطاعتنا الآن أن نتبين الطريق الواصل من الإسكندرية إلى بغداد وأشبيلية فى صورة جلية واضحة .

---

(١) راجع مقال هنرش بكر فى « مجلة الجمعية المشرقية الألمانية » عن « الإسلام كجزء من تاريخ للحضارة عام » المجلد ٧٦ (سنه ١٩٢٢) من ص ١٨ إلى ص ٣٥ ؛ وقد طبع من جديد فى كتابه « دراسات إسلامية » جـ ١ من ص ٢٤ إلى ص ٣٩ .

و — الخـــلاصة

معلوم أن دراسة الطب والفلسفة ، خصوصاً دراسة كتب بقراط وجالينوس ومنطق أرسطو ، دخلت من الإسكندرية إلى الإمبراطورية الفارسية الساسانية قبل ظهور الإسلام بزمن طويل ، وأنها رسخت فى إمبراطورية الخلفاء فى القرن الثامن الميلادى عن طريق الترجمات السريانية والعربية . ولكن لم توجه العناية الكافية حتى الآن إلى تلك المصادر العربية التى تتحدث عن انتقال التعلم مباشرة ، وخصوصاً فى المنطق ، من الإسكندرية ماراً بأنطاكية وحرّان إلى بغداد فى الفترة ما بين سنة ٧٢٠ إلى سنة ٩٠٠ بعد الميلاد تقريبا ، وهذه الأخبار يرْجع غالبها إلى الفارابى الذى لابد أن يكون قد تلقاها عن أساتذته النصارى . ولكنه لم يعد يعرف أسماء رؤساء المدرسة فى الإسكندرية وأنطاكية . ولعل هذا النقص فى تاريخ العلم يمكن تلافيه فى المستقبل بوساطة الوثائق السريانية .

أما عن الفترة ما بين سنة ٨٥٠ وسنة ١١٠٠ بعد الميلاد تقريباً ، فإن الروايات عن رؤساء المدارس ومشاهير أساتذة الفلسفة والطب خالية من النقص تقريباً . فهى تسير بنا من آخر رئيس للمدرسة فى حران ، وهو غير معروف ، مارة بقُوَيرى وإبراهيم المروزى ويوحنا بن حَيْلان وابن كَرْنيب وأبى بشر متى والفارابى ويحيى بن عدى وابن الخمار وابن زرعة وعبد الله بن الطيِّب وسعيد بن هبة الله حتى ابن جزلة ، الذى كان معاصراً للغزالى والذى دفع اعتناقه الإسلام ثمنا لتعلمه الفلسفة . والانتقال التدريجى من الفلسفة إلى الطب ، ومن السريان إلى الفرس ، يمكن مشاهدته بوضوح . وبينما كان منصب « رئيس الأطباء والفلاسفة » والذى كان دائماً تقريباً مقصوراً على أطباء الخلفاء ، قد أصبح منذ القرن الثالث منصباً رسمياً يمنحه الحكام ، كان لقب « رئيس الفلاسفة » لقباً خصوصياً يطلق باعتراف المتفلسفة

به لأكبر الحكماء والعلماء . ولم توجد فى مدينة بغداد فى أيام الخلفاء مدرسة فلسفية تعترف بها الدولة ، كما لم توجد مدرسة من هذا النوع فى الإسكندرية فى العصر البيزنطى ، بينما كان الخلفاء والوزراء هم الذين أنشأوا مدارس رسمية للأطباء ومعها بيمارستانات . وبازدياد قوة أهل السنة فى بغداد فى القرن الخامس (الحادى عشر الميلادى) بدأ انحطاط الدراسات الفلسفية التى رحلت منذ ذلك الحين إلى المراكز الصغيرة المستقلة فى العالم الإسلامى .

وفى الختام أرى واجباً علىّ أن أشكر عدداً كبيراً من المستشرقين الذين عاونونى فى عملى سواء عن طريق المكاتبات أو عن طريق الإحالات إلى المراجع . وهؤلاء هم السادة الأساتذة فان آرندونك وف . برْتولْد ، و ا . بومْيشْتَرْك ، و ج . فُرْلانى ، و ا . متڤوخ ، وكارلو الفونسو نلينو و م . بليسْنر ، وهلموت رتّر ، و ك . شميتْ ، وطه حسين ، و ج ڤييل . كما أنى مدين بالشكر أيضاً للسادة الأساتذة ب . جُوجيه مدير المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، والأب سان پول جيرار مدير مكتبة المعهد ، لما قدموه لى من مساعدة من أجل الانتفاع بكنوز المعهد الفنية . وكذلك أشكر السيد توفيق اسكاروس ، سكرتير دار الكتب المصرية للسبب عينه . ولكن شكرى الخالص أدين به أولا وقبل كل شئ لصديقىّ جوتهلْف برْجشْترِيْسرْ ويوسف شخْتْ ، اللذين ناقشانى فى هذا العمل كله وأصلحا ترجمتى للنصوص .